

عارف بك النعماني

١٨٨٢-١٩٥٥

وثائق حول العلاقات اللبنانية السورية الفرنسية



إعداد

الدكتورة فاطمة قدورة الشامي

دكتوراه دولة في التاريخ

A
920
N111 sh
c. 2
الدركتور
فاطمة قدورة الشامي
الجامعة اللبنانية
كلية الآداب - الفرع الأول

عارف بك النعماني

وثائق حول العلاقات اللبنانية السورية الفرنسية

١٨٨٢ - ١٩٥٥

بيروت

١٩٩٩

G14 28535

الإهداء

إلى الذي عاش وعَمِلَ
لأجل استقلالِ لبنانَ
وتحدَّى بعنادٍ وصلابةٍ وإباء
وتَحَمَّلَ الاعتقالَ والسَّجْنَ والثَّنْفِ
وخَسِرَ العَمَلَ والمالَ
ذلك هو قَدْرُ الأبطال...
هو قَدْرُ أهلِ بيروت...
وكلُّ مَنْ أَحَبَّ بيروتَ وترابَ لبنانَ

آل النعماني

المقدمة

عندما نؤرخ لرجالات لبنان أمثال: عارف النعماني الذي عاش في بيروت ما بين نهاية القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين (١٨٨٢-١٩٥٥) تكون الغاية البحث عن مواقفهم ومقولاتهم ونضالاتهم التي طُمست، لنضعها من جديد بين أيدي الشباب العربي، لعلهم يستلهمون من الماضي عبراً للمستقبل.

عاصر عارف النعماني تلك الكوكبة من الأبطال العرب الذين ظهوروا في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق والحجاز ومصر والشمال الأفريقي. فحملوا تباشير النهضة السياسية والفكرية، ودخلوا في تقاطع تاريخي حادّ ودموي أدى إلى إنهاء الحكم العثماني الذي استمر حوالي أربعمئة سنة، والوقوع تحت سيطرة الانتداب الإنكليزي والفرنسي، فتابعوا النضال من أجل التحرر والاستقلال.

إن دراسة عارف النعماني تكشف للأجيال قدرة الأمة العربية على متابعة الحركة والتطور، والأخذ من الثقافات الأجنبية، دون إهمال النضال والمعارضة وتحدي الاستعمار بأشكاله كافة، وذلك بغية دفع الشباب العربي للإيمان بنفسه، وبعظمة رجالات أمتّه، بعد أن مرت مرحلة من التنكّر لتاريخنا وقيمتنا الروحية، إعجاباً منا بالثقافات الغربية. فعارف النعماني، بالرغم من تشبّعه بالثقافة الأجنبية، وتقلّبه في العز والرخاء، لم ينس الهم الوطني. فكافح وناضل مسجّلاً لنا أصدق صور الوفاء لأمتّه. فانعكس ذلك سلباً على حياته العائلية وعلاقاته الشخصية، وأعماله الاقتصادية.

والواقع أن القراءة المتأنية لمذكرات عارف النعماني تلقي أمامنا أضواء على شخصية متكاملة، متوازية في قدراتها النفسية والسلوكية، ذات أبعاد سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، تفاعلت مع شخصيات قيادية أجنبية، أمثال: بيكو وغورو وويغان إوبوار، وملوك وقادة ورؤساء وزراء عرب أمثال: الملك فيصل بن الحسين، والملك علي بن الحسين، وآل سعود وياسين الهاشمي، واقتسمت الهم السياسي الوطني مع كبار زعماء لبنان أمثال: عمر الداعوق ومحمد أمين بيهم

وسليم علي سلام ورياض الصلح والياس شويري وسعيد البستاني و خليل عقل ومحمود جنبلاط وفؤاد عبد الملك وفؤاد كنعان وسعد الله الحويك وأمين أرسلان، ودافعت اقتصاديًا عن العملة الوطنية مع مجموعة من تجار بيروت وسوريا أمثال نجيب يوسف سرسق وألفرد سرسق، وحبيب وجورج وبترو طراد، ومصطفى عز الدين، وميشال شيحا.

ونجد لدى عارف النعماني ثوابت فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية تجلّت في ما يلي:

أولاً: ترأسه للحركات السرية المناهضة للحكم العثماني في لبنان، فكاد يشنق على يد جمال باشا.

ثانياً: اتصاله بالأمير فيصل في دمشق للغاية نفسها. في هذه المرحلة تبلور الفكر السياسي لديه بطرحه فكرة إنشاء دولة لبنان الكبير، تمهيداً لاستقلاله، مع الحرص على الوحدة العربية، والعلاقة المميزة مع سوريا اقتصادياً^(١). تلك الحقيقة التاريخية التي طرحها عارف النعماني مع الأمير فيصل سنة ١٩١٩، وفي المؤتمر السوري العام [وكما شهد بذلك المفكر سعيد عقل سنة ١٩٩٥ الذي أكد بأن عارف النعماني هو صاحب الفضل في قيام دولة لبنان الكبير^(٢)]. وقد عادت ذاكرة التاريخ لتؤكد الحقيقة التاريخية التي أطلقها عارف النعماني حول علاقة سوريا ولبنان وذلك في مؤتمر الطائف الذي عقد سنة ١٩٨٩.

ثالثاً: لقاء عارف النعماني مع الجنرال غورو الذي تمحور حول علاقة لبنان بالدول العربية. فدعا إلى اتحاد فدرالي بين العرب ضمن الاستقلال الذاتي، مع الحرص على استقلال لبنان داخلياً، وارتباطه مع العرب اقتصادياً ومالياً على أن

(١) حوار الأمير فيصل - النعماني حول استقلال لبنان. نص مطبوع على قطعة زنك خاصة بالمؤتمر السوري العام. ونقل العبارة ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٢٦٤. ومحمد جميل بيهم: سوريا ولبنان (١٩١٨-١٩٢٢)، ص ١١٣-١١٩.

(٢) قال سعيد عقل: "ليس مسموحاً لأحد أن يزور التاريخ، وحقيقة الأمر أن صاحب الفضل في تأسيس دولة لبنان الكبير هو الحاج عارف النعماني. وكل الوقائع تؤكد هذه الحقيقة، فلو لم يطلب الحاج النعماني من الملك فيصل استثناء لبنان من مشروع الدولة العربية، بحكم تركيته الطائفي، لما كان هناك لبنان. وفي هذا رد على فريد سلمان الذي أنكر دور المسلمين في استقلال لبنان.

مجلة الأفكار: ١٨ كانون الأول ١٩٩٥ - السنة ١٣، العدد ٦٩٧.

يُضاف إليه البقاع، وتبقى بيروت مرفأً حرّاً.

مما تقدم نلاحظ أن تعاظم عارف النعماني الشأن السياسي للبنان لم يكن من باب التفكه أو التسلية، فالكثير من آرائه حول إنشاء دولة لبنان الكبير، والعلاقات اللبنانية السورية، ما زال ناجحاً فاعلاً. لأن هذه الآراء هي في الواقع أجوبة على أسئلة ما انفك الفكر السياسي اللبناني والسوري يطرحها على ذاته. "إنها أزمة وطن ما زال حتى يومنا هذا يعاني من كوابح ضاغطة تكبل مسيرته. فإذا المواقف والتشنجات السياسية ألغام تفجّر الساحة اللبنانية بين الحين والآخر. وذلك بسبب البعد عن التفاهم السوري - اللبناني، والانشداد إلى حزازات الماضي"^(١).

رابعاً: موقف عارف النعماني المعارض للانتداب الفرنسي، وسعيه لتحقيق الاستقلال بدعمه مجلس إدارة جبل لبنان مادياً، مما أدى إلى قيام فرنسا بسجنه ونفيه إلى جزيرة كورسيكا.

ونلاحظ أنّ هذه الهوية السياسية لديه تظهر في مواقفه الصارمة التي لم يحد عنها ولم يساوم بشأنها مهما كانت خطورة الأمر. فاتسمت بعناده وصلابته والتزامه إيّاها إلى حدٍّ أدّت به إلى السجن والنفي. ولكنه رغم ذلك بقي داعماً مادياً، ومعنوياً للحركات التحررية في الوطن العربي. لم يعرف الحياد، ولم تُسكته قوة عن إظهار حقيقة الحياة السياسية اللبنانية المكفنة بالنفاق والارتهاق للدول الأجنبية من أجل السلطة والجاه. لقد كان حميم الارتباط بما يجري في وطنه، تتصارع الآمال في صدره، فبات الوطن محور عقله وكيانه.

ثوابت عقديّة سياسية دفع ثمنها مادياً ومعنوياً من أجل لبنان والأمة العربية. لم يعوّض عليه بشيء. ضاعّت أمواله ما بين دعمه لمجلس إدارة جبل لبنان من أجل الاستقلال ومساعداته المادية لإنهاء الصراع الدموي بين الهاشميين والسعوديين في الحجاز.

خامساً: اتساع نشاطه الاقتصادي الذي اتخذ بعداً اقتصادياً وطنياً عربياً إنمائياً. فقد راعه أن تعمل فرنسا على إفقار لبنان، فأسس مصرفاً للبنان (بنك الإصدار الوطني). فما كان من الجنرال ويغان، إلا أن حاربه، وهذّده إوبوار بالنفي إلى مدغشقر في أفريقيا.

(١) راجع، توصيه المؤتمر الدائم للحوار اللبناني - السوري الذي عقد في فندق السمرلاند، الجمعة في ٨ آذار ١٩٩٦.

كذلك أنشأ شبكة محلات النعماني لتجارة بالات القطن الخام والتي توزعت في البلاد العربية.

وتابع قضية اكتشاف النفط في بلاد الحجاز، فأتى بالمهندسين لاستخراجه. ولكن انتقال الحكم من آل هاشم إلى آل سعود قضى على امتياز التنقيب. كما أقام المشاريع الاقتصادية في العراق، فاهتم بإنشاء السدود واستصلاح الأراضي لزراعة القطن، وأسّس شركة طيران لنقل الحجاج من فارس والعراق. ولكن إنكلترا كانت له بالمرصاد، فشلت كل مشاريعه.

سادسًا: تخطيه المجال السياسي والاقتصادي، وبروزه في المجالات الثقافية والإعلامية والاجتماعية. فسّمت ذاته الإنسانية حتى فاق الحد في الكرم والعطاء، فلم يكن لبذله حدود. أما اللياقة والرهافة والتهذيب فسمات واضحة جلية بدت في حسن تعامله مع كبار المسؤولين، فكان جليس ملوك العرب، وجرالات فرنسا. دخل قصور الملوك والرؤساء في مهمات سياسية خطيرة، ليلاً ونهاراً وبدون رسميات. وقد سعى في طلبه سادة البلاد، وعُدّ رجل المهمات السياسية الصعبة، والعقل المدبر في المشاكل المستعصية.

ثقتة بنفسه رفعتة فوق طلب أي منصب لنفسه. فكان «الجنتلمان» الذي قال له الملك فيصل يوم أصابه بالكرة في عينه في مباراة رياضية جمعتهم: "وأنت عيتنا يا عارف"^(١). وكان «البيك»، كما يستفاد من قول هنري فرعون له: «أنت بيك يا عارف وأنا خواجه»^(٢).

هذا هو عارف النعماني بشخصيته المتعددة المواهب، تمامًا كحجر الماس المصقول، كيفما حركته بهرك إعجابًا وسحرًا.

زعيم بيروتيّ طموح وعنيد، فتح جبهات نضالية واسعة، فأغاظ خصومه. وكلما أقفلوا بوجهه جبهة، فتح جبهات أخرى.

أعطانا صورة صادقة عن حقبة هامة من تاريخ لبنان والدول العربية في العصر الحديث. عاش فيها وتفاعل معها ماديًا ومعنويًا، فكان بين فكّي أعظم دولتين

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٧).

(٢) مقابلة مع السيدة عزيزة كامل النعماني بتاريخ ١٤/٢/١٩٩٦.

آنذاك (فرنسا - إنكلترا). جهر بآرائه ضدهما، وانتقد سياستهما، رافضًا مواقف إنكلترا من العرب وتأييدها لليهود، وانتداب فرنسا للبنان، فدفع ثمن موافقه من حياته وتجارته ومشاريعه، حتى كان في ذلك انهيار كل طموحات عارف النعماني..

سيرة عارف النعماني ليست قصة أرويهما للعبرة فقط، ولكنها حقيقة تاريخية واضحة كالشمس لرجالات بيروت، الذين ناضلوا من أجل استقلال لبنان ضمن البعد القومي العربي، فقدّموا من أجل ذلك الروح والمال إيمانًا منهم بأن بيروت ستبقى دائمًا وأبدًا عاصمة لبنان العربي الهوية والانتماء، ومعقل الحريات، ومنطلق المقاومة الوطنية والنضال^(١).

فاطمة قدورة الشامي
بيروت في ١/٧/١٩٩٦

(١) راجع: توصيه مؤتمر وثيقة بيروت الذي عقد في فندق الكارلتون في ٢٣/٣/١٩٩٦.

الفصل الاول عصر عارف النعماني

إنَّ المتتبع لتاريخ لبنان الحديث، يظهر له بوضوح عمق الارتباط اللبناني مع الخارج. فلقد كان للأمير المعني فخر الدين علاقاته المباشرة مع توسكانة، كذلك الأمر بالنسبة للأمير الشهابي بشير الذي تعاون مع حكم إبراهيم باشا للبنان الذي انتهى بمؤتمر لندن ١٨٤٠.

هذه الأوضاع السياسية أدت إلى التدخل الأجنبي في شؤون لبنان السياسية والثقافية. فسياسياً اندلعت أحداث ١٨٦٠ وانتهت بإعطاء حكم جبل لبنان لمتصرف مسيحي عثماني، يعيّن من قبل الدول الأجنبية، ويتبع مباشرة للسلطان العثماني. وبقيت بيروت وصيدا وطرابلس والجنوب والبقاع وحاصبيا وراشيا خاضعة لحكم الولاية العثمانين. أما ثقافياً فلقد بدأ دخول الإرساليات الأجنبية إلى لبنان.

وسط هذه الأجواء، ومع نهايات القرن التاسع عشر، عاش عارف النعماني الذي اتصف عصره بالدقة والخطورة بالنسبة لتاريخ لبنان والمنطقة العربية. فظهرت بين زعماء الدول العربية تيارات فكرية سياسية مناهضة لتركيا، وذلك بعد أن منيت بالهزائم العسكرية في أوروبا، وسمحت للقوى الاستعمارية (فرنسا - إنكلترا - إيطاليا) باحتلال الولايات التابعة لها: كمصر وتونس والجزائر وليبيا. ولقد تدرجت تلك التيارات الفكرية في طروحاتها السياسية ضمن مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى

ظهر التيار التقليدي، حيث عمل زعماؤه (رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني ورشيد رضا) على التمسك بالخلافة العثمانية مقابل الإصلاح. وذلك بدعم فرنسي سرّي ظهر من خلال تأليف جمعية العروة الوثقى في

باريس، وتشجيع إنكليزي ساعد في قيام ثورة أحمد عرابي في مصر^(١).

نتيجة ذلك ظهر بين ضباط الجيش التركي، تكتل سرّي أطلق عليه اسم جماعة (تركيا الفتاة)، وقد انقسم فيما بعد إلى جماعة الاتحاديين (جمعية الاتحاد والترقي) وجماعة الإصلاحيين أو الائتلافيين (جمعية الحرية والائتلاف) الذين طالبوا بالدستور الجديد. ولكن ما بين تعطيل الدستور وعودة الحياة الدستورية انتهى حكم السلطان عبد الحميد، ووصل الاتحاديون إلى الحكم، فقاموا بفرض سياسة التتريك. ونادى العرب باللامركزية، وتشكّلت (الجمعية القحطانية) و(جمعية الإخاء) و (المتدّى الأدبي) من أجل المحافظة على الكيان العربي تجاه سياسية التتريك. فاعتقلت السلطات التركية الأعضاء وأقفلت هذه الجمعيات، وأبعدت الضباط العرب من الجيش، وأرسلتهم إلى الأناضول، فاستقال الضباط عزيز المصري وألف (جمعية العهد) السرية، وظهرت (جمعية النهضة اللبنانية) و(الجمعية الإصلاحية البيروتية) و(الجمعية اللامركزية).

المرحلة الثانية

ورافق ذلك بدء المرحلة الثانية للطروحات السياسية العربية. فظهر دعاة الفكر الليبرالي الذين نادوا بالقومية العربية، وإلغاء الخلافة، والتحرر، والعقلانية. وحمل لواء هذا التيار مجموعة من المفكرين أمثال: ناصيف اليازجي وإبراهيم اليازجي وبطرس البستاني ويعقوب صرّوف وشكيب أرسلان وقاسم أمين وصدقي الزهاوي وشفيق العظم وسواهم. فتأسست نتيجة ذلك جمعيات سرية، وظهرت حركة إعلامية واسعة، تجاذبها تيار إنكليزي دعا إلى الخلافة في مصر (جماعة اللامركزيين) أمثال: رشيد رضا وشفيق العظم، وتيار فرنسي أكد على ضرورة حكم فرنسا للبنان وسوريا (جماعة النهضويين) أمثال: اسكندر عمّون وداوود بركات. وأدى ذلك إلى قيام السلطات العثمانية بتعقّب هؤلاء المفكرين والصحافيين الذين هاجروا إلى مصر^(٢).

(١) ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩، ص ١٠٠.

(٢) Hicham Sharabi: Arab Intellectual and the West, the Formative Years, 1875-1914, p. 9.

المرحلة الثالثة

وأدى ذلك فيما بعد إلى تبلور المرحلة الثالثة للتحرك السياسي العربي، فنشط التيار التقدمي بزعامة عبد الرحمن الكواكبي الذي رفض كل أنواع الظلم والاستبداد للدولة العثمانية، ودعا إلى إلغاء الخلافة العثمانية. نتيجة ذلك ازداد الكره والعداء بين العرب والأتراك. وتجلّى ذلك بحملة المداهمات والاعتقالات وتعليق المشانق في بيروت وبعلمك ودمشق التي نفذها الوالي التركي جمال باشا ما بين عامي ١٩١٥-١٩١٦.

ومع هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى أمام الحلفاء، انتهى دورها في حمل لواء الإسلام، وذلك بسبب سياسة الاتحاديين، الذين حاولوا إدخال العرب في الدعوة الطورانية، وظهور تيار استعماري (فرنسي - إنكليزي) عمل بفكر قومي ليبرالي تقدّمي من أجل شُرْذمة الإمبراطورية العثمانية وتفتيت البلاد العربية لتصبح فريسة للمطامع الأجنبية. ولقد علّق العرب الآمال على إنكلترا وفرنسا، من أجل صنع نهضة، وبناء مملكة عربية. فأسلموا قيادة أمرهم إلى ضابط إنكليزي، عُرف بـ (لورانس العرب)^(١). فقاد ثورتهم (ثورة الشريف حسين ١٩١٤). ووضعوا كل إمكانياتهم في تصرّفه، وشنّوا حرباً على الجيش العثماني في شبه الجزيرة، حتى وصلوا إلى دمشق، ثم يَمّموا وجههم شطر فلسطين، حتى خليج العقبة، كل ذلك من أجل التحرّر من الحكم العثماني. وبعد انتهاء الثورة فوجئ العرب بمعاهدة سايكس - بيكو سنة ١٩١٦. حيث بدأت تظهر التناقضات السياسية بعد دخول الأمير فيصل سوريا، وإعلانه الحكومة العربية في لبنان، وقيام فرنسا بإلغاء الحكومة وإنهاء الحكم العربي فيه. ونشطت من جديد التيارات الفكرية الليبرالية والتقدمية في مصر والعراق وسوريا ولبنان، فظهرت مجموعة من الأحزاب القومية: كالحزب الوطني وحزب الوفد وحزب الأهالي والحزب السوري وعصبة

(١) يقول لورنس في كتابه أعمدة الحكمة السبعة: «كان هناك الخداع المرهق الذي اضطرني إلى أن أحمل نفسي وزر ادعاء قيادة ثورة وطنية لعنصر آخر، بعد أن ليست لها لباساً لا عهد لي بمثله من قبل، ومع يقيني التام، بأن الوعود التي أطلقناها للعرب، لن تكون لها أيّة قيمة عملية إلا بمقدار ما سيظهر العرب أنفسهم من قوة». ص ٢٥٤-٢٥٥. راجع أيضاً جريدة السفير: مقال الدكتور رضوان السيد ١٩٩٨/١٠/١١.

العمل القومي^(١). هذه الأحزاب كانت في الأصل حركات إصلاحية تابعة لنوادٍ ثقافية وجمعيات سرّية، وقفت ضد سياسة التتريك، وعادت لتقف من جديد، بوجه الاستعمار الفرنسي والإنكليزي من أجل نيل الاستقلال.

والواقع أن الوعي القومي العربي الذي تشكّل من خلال الجمعيات السريّة التي نشطت ضد الطورانية عاد من جديد لمواجهة فرنسا وإنكلترا. وأعطى صوراً رائعة للمقاومة العربية ضد السلطات الفرنسية والإنكليزية، إضافة إلى التحرك الدبلوماسي النشط للأمير فيصل في مؤتمر الصلح (١٩١٩)، حيث ظهرت الانقسامات بين الحلفاء، مما دعا إلى تشكيل لجنة كينغ-كراين لتقرير نوعية الحكم في البلاد العربية^(٢).

وعقد المؤتمر السوري العام سنة ١٩٢٠، وتوجّ الأمير فيصل ملكاً على سوريا الكبرى، فقام بالاتصال مع أعضاء مجلس إدارة جبل لبنان، للعمل من أجل استقلال لبنان، وتوسيع حدوده وملاحقة مطالبه داخل عصبة الأمم ومؤتمر الصلح.

ولكن فرنسا سارعت إلى عقد مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠) مع الحلفاء، وتقرر على أثر ذلك إعلان الانتداب الفرنسي - الإنكليزي على البلاد العربية، فكان الردّ اللبناني بإثارة قضية (الميثاق الوطني أو المضبطة). وسارعت فرنسا إلى التحرك العسكري ضد الأمير فيصل، فأرسل غورو إنذاره إلى الملك فيصل ليسمح للقطع الفرنسية الحربية بالعبور إلى كيليكيا. ولكن رغم تلبية الملك فيصل للمطالب دارت معركة ميسلون التي أنهت الحكم الفيصلي في سوريا التي وقعت تحت الانتداب الفرنسي. ولقد أدّى ذلك إلى قيام الثورات في حلب واللاذقية.

وانتقل الحكم في سوريا ولبنان من غورو إلى ويغان الذي اتسم حكمه بالفوضى والاضطراب وسوء الأوضاع الاقتصادية. وأنشأت فرنسا مصرف سورية ولبنان لتحويل الذهب الموجود في البلاد إلى أوراق نقدية، فانخفضت قيمة الليرة الذهبية... ولم يكن حكم ساراي أفضل ممن سبقه خاصة بعد أن اندلعت الثورات في جبل الدروز وجبال العلويين ودمشق.

(١) أمين الريحاني: القوميات. ج ١-٢، ص ٣١ - ٩٢.

(٢) Howard: the King-Crane Commission, P. 9.

هذه الأحداث السياسية التي رافقت عصر عارف النعماني، تبين مدى أهمية المرحلة التي عاصرها، إنّها مرحلة عصر النهضة واليقظة العربية التي تعني التغيير الجذري في الواقع السياسي والاجتماعي والفكري للبنان وللبلاذ العربية، فقضت على الحكم العثماني، وانتقل فيها حكم سوريا ولبنان إلى الأمير فيصل، ومن ثمّ رزحا تحت الانتداب الفرنسي.

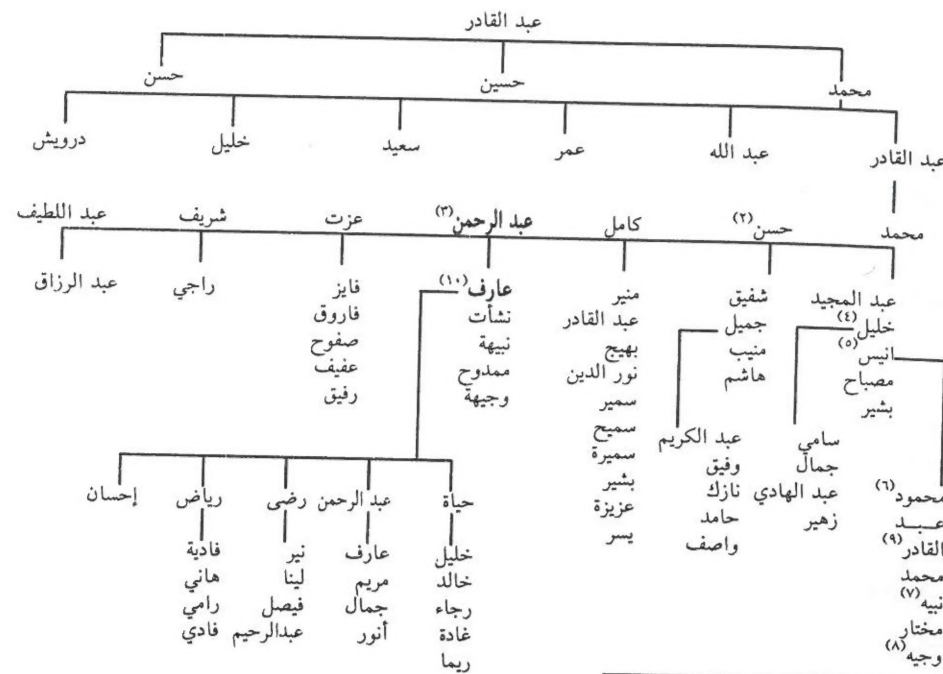
إذن فقد شكّلت مجموعة الاستحقاقات السياسية الخطيرة حياة عارف النعماني ورفاقه من قادة الأمة العربية، وزعمائها ومفكرها، فتجاذبتهم المصالح الاستعمارية، ضمن جمعيات وأحزاب سرّية، وتيارات فكرية ونظريات سياسية وحركات إعلامية.

وسط هذه الأوضاع السياسية عاش عارف النعماني مستقطباً الحركة الوطنية في بيروت، متفاعلاً مع المستجدات السياسية العثمانية والفيصلية والفرنسية، منسّقاً الحدث السياسي حتى مع الإنكليز، بهدف الوصول بلبنان إلى بر الأمان، أي إلى الاستقلال. ولكن ما أصعب ضياع الاستقلال، وانتقال الوطن من حكم عثماني مستبدّ، إلى حكم فرنسي غريب عن المحيط العربي، حارب بقسوة أمني زعماء العرب بالوحدة والاستقلال.

ولا يغفل عن بالنّا مدى اتصال عارف النعماني بالأمير فيصل، وسعيه من أجل الوحدة واستقلال لبنان. فانعكس ذلك سلبيّاً عليه، لأنّ المخطط الأجنبي كان يهدف إلى القضاء على فيصل وكل دعاة الوحدة العربية...

إذن عارف النعماني كان يعمل بعكس المخطط الدولي الاستعماري للمنطقة العربية، لذا ليس غريباً، وأمام تحدّيه وعناده وصلابته ومقاومته للقوى الاستعمارية، أن ينهار سياسياً واقتصادياً. ويقضى على كافّة مشاريعه ونشاطاته... علماً بأنّ عصر عارف النعماني، كان عصر الليبرالية العربية. ولكن هل كانت هذه الليبرالية متواطئة مع الأصل الأوروبي، ذلك الأصل الذي أنساها أوطانها؟ ولماذا استحال على رواد عصر النهضة وزعمائها التوفيق بين صلابتهم الحداثيّة، ومقاومة الاحتلال الأجنبي، ممّا أدى إلى فشل الثورة العربية الكبرى، وضياعها عن الهدف الاستقلالي، وضياع أمني زعمائها، أمثال عارف النعماني، بنيل الحرية والاستقلال والسقوط في الخداع والانخداع ووعد بلفور؟

يبقى أن نتبع مراحل كفاح عارف النعماني في الصفحات التالية، وبشكل مفصل ودقيق، معتمدين في ذلك على مذكراته الشخصية التي دونها آنذاك الأديب محمد قره علي، وتم نشرها في جريدة الحياة في ١٩ شباط سنة ١٩٥٣. بالإضافة إلى المصادر والمراجع التاريخية التي وثقت لهذا العصر، وأيضاً المقابلات الشخصية، والوثائق والرسائل التي كانت لديه.



- (١) راجع لوحة شجرة نسب آل النعماني الموجودة في منزل عبد الستار النعماني.
- (٢) حسن النعماني: تاجر مال قبان، وعضو في جمعية بيروت الإصلاحية التي تأسست سنة ١٩١٣.
- راجع حسان حلاق: جمعية بيروت الإصلاحية، ص ١٣.
- (٣) عبد الرحمن النعماني: تاجر ميفتاتورة. اهتم أبو عارف بكل ما يعود على أهل بيروت بالخير، فساهم مادياً ومعنوياً في تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في مدينة بيروت سنة ١٢٩٦هـ من أجل إنشاء مدارس مجانية للإناث والذكور، فكان من أعضائها الدائمين أثناء رئاسة عبد القادر القباني وحسن محرم (راجع: الفجر الصادق، ص ٣٣).
- (٤) خليل النعماني: مدير البلاط الملكي للملك فيصل أثناء حكمه لسوريا.
- (٥) أنيس النعماني: مدير محل عارف النعماني في حلب.
- (٦) محمود النعماني: اهتم بمشاريع عارف النعماني في العراق.
- (٧) نبيه النعماني: مدير محلات عارف النعماني في ميلانو. مدير بنك مصر لبنان في بيروت.
- (٨) وجيه النعماني: خريج مدارس اللايك الفرنسية، نال شهادة العلوم التجارية من الجامعة الأميركية في بيروت. استلم المحاسبة في محل عارف النعماني في الإسكندرية، وكان يدير أوتيل كارلتون في بغداد من سنة ١٩٢٤-١٩٣١. ولقد زودني بالكثير من المعلومات عن عارف النعماني. يعمل حالياً بالترجمة وخبيراً محلّفاً لدى المحاكم، وعضواً في اتحاد المصارف العربية.
- (٩) عبد القادر النعماني: خريج جامعتي سيراكيوز وكورنل في أميركا. عميد في الجامعة الأميركية في القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٦٦. رئيس البعثة الثقافية الكويتية في القاهرة (بيت الكويت).
- (١٠) عارف النعماني زوجته شفيقة كنفاني. أصهرته: ابراهيم عرب وحسني مقداوي.

- (١) من مراسلات الشريف حسين - ونائب بريطانيا في الهند إذ يستوضح فيها الشريف حسين عن الانقلاب السياسي الذي ضاعف من حزن العرب مما اعترى عهودهم، مع العظمة البريطانية بشأن استقلالهم، وفي ذلك يقول نائب جلالة الملك في مصر: «إن حكومة بريطانيا قد فوّضت لي أن أبلغ دولتكم، أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا لا تنوي إبرام أيّ صلح كان، ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من الألمان والأتراك». راجع: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠). راجع أيضاً مقال رضوان السيد: جريدة السفير ١١/١٠/١٩٩٨.

أصله ونسبه

عارف النعماني^(١) من عائلات بيروت العريقة، والده عبد الرحمن، أحد كبار تجار بيروت المعروفين آنذاك الذين ارتبطوا مع آل بيهم في تجارة بالات القطن المستورد من مانشستر في إنكلترا. فعملوا بالتجارة ما بين بيروت والقاهرة. وكانت لهم محلات في خان فخري بك ومحل آخر في سوق الطويلة.

ولد عارف النعماني سنة ١٨٨٢ في مدينة بيروت، وتلقى علومه في مدارس البروسيا الألمانية واليسوعية، ومن أساتذته الأب لامنس^(٢).

عاش عارف النعماني في قصر والده عبد الرحمن الواقع ضمن منطقة حوض الولاية في البسطة التحتا، محتلاً درجة عالية من العز والبجوة والمكانة المميزة. فلقد كان القصر مقصداً لوالي بيروت العثماني ولسادة القوم من أهل بيروت واسطنبول والبلاد العربية. ونظراً لمكانة تلك العائلة البيروتية، طلب الوالي من أبي عارف، وبناء لرغبة جمال باشا، إرسال الأخت الصغرى لأبي عارف إلى اسطنبول لمدة سنتين لتنال شهادة تؤهلها لتصبح مديرة في مدارس الدولة العثمانية في بيروت. وهذا الأمر طبعاً يدخل ضمن سياسة التتريك التي بدأت تركيا فرضها على الولايات العربية التابعة لحكمها.

هذا الطلب وضع عائلة النعماني في حالة من الضيق والخرج لأن طبيعة

(١) «آل النعماني، يتحدرون من بني السراج أمراء الأندلس التي هجرها بعد الاحتلال الأسباني. فنزلوا مدينة الساقية الحمراء في المغرب. ويذكر أن شقيقين من بني السراج وفد أحدهما إلى بيروت والآخر توجه إلى الهند. ومن الشقيق الذي وفد إلى بيروت ظهرت خمس عائلات غلبت ألقابها على الاسم الأساسي لبني السراج وهذه العائلات: آل علم الدين وآل قليلات وآل الحاسيني وآل النعماني، وسبب تسمية النعماني أن أحد أبناء العائلة كان يحمل البريد بين بيروت وصيدا، وفي بلدة الناعمة كان يستبدل حصانه. وهناك وقع في حب إحدى الحسنات، فصار يشار إليه بقولهم: "هذا الناعمي" نسبة إلى بلدة الناعمة التي فيها حبيبته».

دراسة للسيد نعيم رشيد النعماني، بيروت ٢٤ حزيران ١٩٩٧.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٣).

الحياة الاجتماعية الإسلامية في بيروت كانت تمنع خروج الفتاة إلا للضرورة وبرفقة أهلها. كما كان الزواج أهم بكثير من العلم والسفر إلى الخارج لطلب العلم، ولكن أمام بطش جمال باشا ورهبته رضيت العائلة، وسافرت فوزية التي كان لها من العمر آنذاك ١٦ سنة مع سكينه شاتيل وعطية المالح^(١).

مما تقدم نلاحظ المكانة الاجتماعية التي كانت تتمتع بها تلك العائلة والتي لم يكن ينافسها فيها إلا الوالي العثماني. فعلى سبيل المثال، كان في بيروت عربتان فقط، واحدة للوالي والثانية لأبي عارف، لذا كان أبو عارف محط أنظار الناس آنذاك^(٢).

وسط هذه الأجواء المميزة لآل النعماني، ومن خلال المكانة العالية للأسرة، واتصالها بالولاة والزعماء، وجد عارف النعماني السبل كافة ممهدة ومفتوحة أمامه لدخول معترك الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية من بابها الواسع. فسلوكها وفاق والده حتى إنه بات حديث أهل زمانه في الغنى والإحسان، فلم تعرض قضية سياسية أو مالية إلا وكان حلها عند عارف، ولم تكن ضائقة إلا وفرجها عند عارف. وقد بلغ من الطموح والفكر الناهض الذي لا يعرف الفشل حداً يعجز الإنسان العادي عن تفسيره. مقابل ذلك نجده يدخل أول سيارة فورد موديل T إلى لبنان^(٣)، ويمتلك القصور^(٤)، ويشترى أول باخرة إلى البلاد العربية ويسميتها «الرياض» ويهديها للشريف حسين^(٥).

(١) مقابلة مع السيدة عزيزة كامل النعماني بتاريخ ١٤/٢/١٩٩٦.

(٢) مقابلة مع السيدة عزيزة كامل النعماني بتاريخ ١٤/٢/١٩٩٦.

(٣) راجع ريبورتاج مجلة الحساء حول هذا الموضوع.

(٤) امتلك عارف النعماني القصور في بيروت في منطقة حوض الولاية وفي الجبل في سوق الغرب قرب فندق الحجار. أما في الإسكندرية فكان له قصر في شارع محرم بيك، وقد استضاف فيه ممثل الحكومة البريطانية، لأنه لم يكن هناك من قصر آنذاك يليق بمكانته سوى قصر عارف النعماني.

(٥) مقابلة مع السيد عبد الرحمن عارف النعماني بتاريخ ١٠/٧/١٩٩٧.

(٥) المصدر نفسه.

الفصل الثاني تحركه السياسي في بيروت

بدأ التحرك السياسي لعارف النعماني في بيروت ضمن مرحلة زمنية تمتد من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٤. وكانت أوضاع لبنان السياسية آنذاك تخضع جبل لبنان لحكم متصرف أجنبي عثماني يتبع مباشرة للسلطان التركي. أما ما تبقى فشأنه شأن باقي الدول العربية في الخضوع لولاة الدولة العثمانية^(١).

ولكن منذ مطلع القرن التاسع عشر، بدأت الإمبراطورية العثمانية تتعرض لاحتكاك عسكري وفكري وسياسي وثقافي مع أوروبا. فظهرت حركات استقلالية (بلغاريا) واحتلالية (مصر، ليبيا، عدن، البحرين) وسيطرت النمسا على البوسنة والهرسك. وانتشرت الإرساليات التبشيرية والتربوية، وظهر الاهتمام بالصحافة، والترجمة، وأدخلت المطابع، وتأسست الجمعيات الثقافية العلمية^(٢). وفي المقابل، كانت الدولة العثمانية في حالة تخلف سياسي وجمود فكري، فانعكس ذلك ظلمًا واستبدادًا وعزلة على أوضاع البلاد العربية. وبدأ المفكرون العرب الذين درسوا في جامعات أوروبا بمحاولة النهوض بالدولة العثمانية، من خلال إصلاح الأوضاع الدينية والسياسية.

لقد لاحظ العديد من المفكرين في دراستهم للشرق في القرن التاسع عشر أن هناك جمودًا في الفكر الديني، وضلالات، وحركات صوفية وسلطة تشريعية دينية تدعم السلطان العثماني إلى درجة جعلته ظل الله على الأرض. وقد أدى ذلك إلى

(١) أسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٣٥.

لحد خاطر: عهد المتصرفية في لبنان، ص ١٦-٢٧.

Segreteria di Sordigna Cart 229, Villanis à cavour cité par M. Ismail. Le Liban sous les Mutasarrifs - cit. p.176.

(٢) عبد الرحمن الرافي: تطور الحركة القومية، وتطور نظام الحكم في مصر، عصر محمد علي، ج ٣، ص ٤٥٢. محمد بديع شريف: دراسات تاريخية في النهضة الحديثة، ص ٨٠.

ظهور بعض الحركات الدينية التقليدية والمتأثرة بفكر ابن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨م) عملت على إعادة الإسلام إلى نقائه الأول وإزالة كل ما علق به من شوائب. فظهرت الحركة الشوكانية^(١)، والألوسيان^(٢)، والسنوسية^(٣)، والمهدية^(٤)، والوهابية^(٥). وتبعها تحرك ديني سلفي، طالب بتطوير الدين الإسلامي وضرورة محاكاته للتطور الحاصل في الغرب (الشيخ رفاعة الطهطاوي، الشيخ محمد عبده، الشيخ جمال الدين الأفغاني، الشيخ رشيد رضا).

أما الإصلاح السياسي فظهر من خلال جمعيات وأحزاب وصحافة سرّية وعلمية عملت من أجل النهوض بالدولة العثمانية، وانتهت بالقضاء عليها، وقد ساعدتها قوى فرنسية تعمل على توحيد سوريا وربطها بوصاية أو انتداب، وقوى إنكليزية كانت تعمل من أجل توحيد سوريا تحت حكم الشريف حسين^(٦). ولقد تمكنت تلك القوى من خلال طرح شعارات الحرية والقومية والعقلانية من استعمار البلاد العربية في بداية القرن العشرين. وذلك ضمن خطة استراتيجية سياسية عملت في اتجاهين:

الاتجاه الأول: تحرّك العرب ضد سياسة السلطان عبد الحميد الثاني الذي علّق الدستور وحكم حكماً استبدادياً، فطالب أعضاء الرابطة العثمانية، والجامعة الإسلامية اللامركزية بالإصلاح وإقامة مملكة إسلامية عثمانية.

الاتجاه الثاني: الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني، وظهور القومية التركية التي رد عليها العرب بظهور تيار الوطنية الإقليمية، وتيار القومية العربية الداعي إلى رفض الخلافة العثمانية، والثورة عليها والانفصال عنها.

(١) الشوكانية: ظهرت في اليمن سنة ١٧٦٠، وتنسب إلى محمد الشوكاني. راجع كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ص ٣٠-٣٤.

(٢) الألوسيان: أبو الثناء شهاب الدين محمد شكري. ظهر أبو الثناء في بغداد سنة ١٩٠٢. اتخذ موقفاً ضد التصوف.

(٣) السنوسية: نسبة إلى محمد بن علي السنوسي، ولد في ليبيا سنة ١٧٨٧، أسس الزوايا لنشر المعرفة.

(٤) المهدية: نسبة إلى المهدي بن أحمد، ولد في السودان، جاهد ضد الإنكليز.

(٥) الوهابية: نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب، ولد في الحجاز، تشدد ضد الفساد الديني.

(٦) يوسف السودا: في سبيل الاستقلال، ج ١، ص ٩٣.

وسط هذه الاتجاهات السياسية المسيطرة على ولايات الأمبراطورية العثمانية بدأ عارف النعماني تحركه السياسي سنة ١٩٠٨ أي بعد نجاح الانقلاب العسكري على يد الضباط العثمانيين التابعين لجمعية الاتحاد والترقي^(١). وسبب ذلك أن السلطان عبد الحميد الثاني عطل الدستور سنة ١٨٧٦، فانقسم المصلحون العثمانيون إلى فريقين: فريق يدعو إلى اللامركزية في حكم الولايات التابعة لتركيا وإدارتها، وفريق يدعو إلى المركزية، وهؤلاء أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين خلعوا السلطان عبد الحميد الثاني واستولوا على الحكم^(٢).

موقفه من جمعية الاتحاد والترقي

نتيجة هذه الأوضاع السياسية المستجدة أمل زعماء بيروت، ومنهم عارف النعماني، بتبديل السياسة السائدة للأتراك وإعطاء الولايات العربية حقوقها. فبعد إعلان (المشروطة)^(٣) أعيد تشكيل الهيئة الإدارية لجمعية الاتحاد والترقي في الآستانة، بعضوية السادة: شفيق المؤيد وندرة المطران وحقي العظم وعبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوي ورضا الصلح وحسين حيدر وعبد الوهاب الإنكليزي، وتبع ذلك فتح فروع للجمعية في أنحاء الولايات العربية كافة. ففتح فرع لها في بيروت برئاسة السيد حسن الأسير وعضوية عارف النعماني ومجموعة من الشباب البيروتي المتحمس للإصلاح في ظل الدولة العثمانية. وكان مركز الجمعية في ساحة البرج، بناية أوتيل سنترال. ولقد استقطب مركز الجمعية العديد من الخطباء ورجال الفكر^(٤) أمثال الشيخ مصطفى الغلاييني^(٥).

(١) جمعية الاتحاد والترقي: انبثقت هذه الجمعية عن المجمع الماسوني في سالونيك الذي عقد سنة ١٩٠٨. وكان من نتائجه، وصول الاتحاديين إلى الحكم بعد نجاح الانقلاب على السلطان عبد الحميد، وإحراق مدينة أضنة، وذبح حوالي ٢٠ ألف أرمني، وإزالة كيليكيا الأرمنية، وتعليق المشائق في لبنان وسوريا، ورفض الحكم الذاتي لكردستان والانتداب العسكري الأجنبي الذي فرض على الدول العربية، وأخيراً خلق الكيان الصهيوني في فلسطين. راجع: لوسيان كوفرو ديماس: العار الصهيوني آفاقه وكوارثه، ص ٣٣، وقارن به: أسعد السحمراني: الماسونية نشأتها وأهدافها، ص ١١٤-١١٥.

(٢) سعيد أمين: الثورة العربية، مج ١، ص ١٤.

(٣) المشروطة: تعني: إذا كان الحكم مطلقاً يصبح مشروطاً بالدستور.

(٤) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٣).

(٥) الشيخ مصطفى الغلاييني: من مفكري بيروت الذين اهتموا بجعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد.

وعاد التناحر بين المصلحين العثمانيين من خلال جمعية الاتحاد والترقي (الحكم المركزي)، وجمعية الحرية والائتلاف^(١) (الحكم اللامركزي) التي فتحت فروعاً لها في بيروت ودمشق. وقد لقيت جمعية الاتحاد والترقي المعارضة في بيروت من قِبَل المشايخ^(٢).

والواقع أن معارضة الاتحاديين (جمعية الاتحاد والترقي) لم يَقم بها فقط أعضاء جمعية الحرية والائتلاف والمشايخ، بل شملت حلفاء السلطان عبد الحميد الثاني الذين قاموا بالتمرد والعصيان سنة ١٩٠٩ في تركيا. وقد أدى ذلك إلى كره الاتحاديين للعرب المتضامنين مع اللامركزيين (جمعية الحرية والائتلاف) فأبعد العرب نتيجة ذلك عن بعض وظائف السلك الخارجي وظهر الخلل في التمثيل النيابي: ٤ نواب من العرب مقابل ٤٠ من العثمانيين واليان عريان مقابل ٢٤ والياً تركياً. وعيّن في السلك القنصلي عربي واحد فقط^(٣). ونادى الاتحاديون بسياسة التتريك التي تقوم على أسس طورانية وقومية تركية. وصادف أن وصل إلى الوزارة مجموعة من يهود الدونما الذين يكتّون العداء للعرب.

هذه الأوضاع السياسية والإدارية المستجدة دعت الأعضاء العرب المتسبين إلى جمعية الاتحاد والترقي في الآستانة إلى الاجتماع في حي (بلي أوغلو) في مسرح (فاريتيه) للانسحاب من الجمعية، وتأسيس جمعية (الإخاء العربي - العثماني). وإصدار جريدة (الإخاء التركي). وقام الشيخ رشيد رضا وحقي العظم وعبد الغني العريسي بالاجتماع بأعضاء جمعية الاتحاد والترقي في بيروت ودمشق وبغداد، لمعرفة حقيقة هذه الجمعية التي انقلبت ضد العرب^(٤).

إذن في هذه الفترة نلاحظ أن عارف النعماني، اشتغل مع الاتحاديين، وبعد

(١) جمعية الحرية والائتلاف: انبثقت عن جمعية الكتلة النيابية التي أسست سنة ١٩١١، وضمت نواباً في مجلس المبعوثين. ثم دخلها نواب من الأرمن، فظهرت جمعية الحرية والائتلاف اللامركزية. راجع: علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩١٤، ص ١٧.

(٢) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ١٩٩.

(٣) K. Khairallah: La question du Liban, PP. 43 - 44.

(٤) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٣).

أن ظهرت نواياهم تجاه العرب انضم إلى جمعية (الإخاء العربي - العثماني) التي كانت النواة الأولى للوحدة العربية والاستقلال عن الدولة العثمانية - كما يذكر النعماني - وإن كان لسان حال منشورتها جريدة الإخاء التركي، يدعو إلى الإصلاح والمحافظة على حقوق الولايات العربية داخل الإمبراطورية العثمانية. هذا التناقض بين الاستقلال والوحدة العربية من جهة، والإصلاح مع التمسك بالدولة العثمانية من جهة ثانية، انتهى بأن أصدرت الحكومة التركية أمراً بإلغاء الجمعية، وإقفال جميع فروعها، وتعطيل الجريدة^(١).

إثر ذلك اجتمع في الآستانة سنة ١٩٠٩ السادة: عبد الحميد الزهراوي وعبد الكريم الخليل وسيف الدين الخطيب ورفيق سلّوم ويوسف سليمان حيدر وجميل الحسين وشفيق المؤيد ورضا الصلح ورشيد رضا وحقي ورفيق العظم وندرة ونخلة المطران وحسين حيدر وشفيق هولوا باشا وعزت الجندي ورشدي الشمعة، فقاموا بتأسيس جمعية ومجلة (المتدى الأدبي) برئاسة عبد الكريم الخليل، وصدرت جريدة (الحضارة) لصاحبها عبد الحميد الزهراوي^(٢)، لكن العثمانيين سرعان ما أغلقوا الجمعية ومنعوا المجلة والجريدة من الصدور^(٣).

واضح هنا أن جمعيتي (الإخاء العربي - العثماني) وجمعية (المتدى العربي) والجرائد والمجلات الصادرة عنهما قد شكّلت معارضة علنية لسياسة الدولة العثمانية التي قامت بالتتريك، فظهرت كردة فعل، بوادر القومية العربية التي استلهمها زعماء العرب من الفكر الغربي. ولكن البعد السياسي للفكر القومي العربي لم يكن واضحاً، وإنما كان متأرجحاً بين المركزية واللامركزية مع الخلافة العثمانية وبين الانفصال والثورة والاستقلال عنها. ويبدو ذلك واضحاً في تأسيس العديد من الجمعيات العربية السرية: كالجمعية القحطانية^(٤) وحزب اللامركزية العثماني^(٥) وجمعية العربية

(١) المصدر نفسه.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).

(٣) سعيد أمين: الثورة العربية، مج ١، ص ٨.

(٤) الجمعية القحطانية: (سريّة) أسسها عبد الكريم الخليل، وكانت غايتها تأليف مملكة عربية عثمانية.

(٥) حزب اللامركزية العثماني: (سريّة) أسس سنة ١٩١٢ في مصر، ضم: رفيق العظم وطاهر

الجزائري، وله فروع في الشام والعراق، وهو ضد جمعية الاتحاد والترقي.

الفتاة^(١) وجمعية العهد^(٢). أما الجمعيات العلنية فهي: جمعية الجامعة العربية^(٣) وجمعية العلم الأخضر^(٤) والجمعية العمومية الإصلاحية البيروتية^(٥) وجمعية البصرة الإصلاحية^(٦).

بدأت هذه الجمعيات، السريّة منها والعلنيّة، بالمعارضة والمقاومة، وعقد المؤتمرات الدولية ضمن اتجاهات سياسية مختلفة تدعو حينًا إلى اللامركزية وأحيانًا إلى إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية وإنشاء مملكة حجازية سورية للشريف حسين تحت الوصاية الإنكليزية، أو إعلان الثورة على الحكم العثماني وطلب الحماية الفرنسية.

إذن الجمعيات العربية عملت من أجل تحقيق اللامركزية والإصلاحات، ولكن السياسة الاستعمارية استغلّتها لتحقيق مآربها في القضاء على الإمبراطورية العثمانية واحتلال الدول العربية التابعة لها.

ففي بيروت ظهرت المقاومة العلنية لسياسة الأتراك من خلال جمعية الإصلاح البيروتية^(٧) والتي ضمت الأسر اللبنانية المسلمة والمسيحية. وكان

(١) جمعية العربية الفتاة: (سريّة) أسسها سنة ١٩١١ طلبة عرب في الآستانة، وكان مركزها باريس. طالبت باللامركزية، وفيما بعد نُقلت إلى بيروت ثم دمشق. أعدم جمال باشا عددًا كبيرًا من أعضائها. واتصلت بالأمير فيصل فيما بعد.

(٢) جمعية العهد: (سريّة) تأسست ١٩١٣. رئيسها الضابط عزيز علي المصري الذي دعا إلى اللامركزية. انتهت بنفيه وإعدام الأعضاء سليم الجزائري وأمين لطفي الحافظ.

(٣) جمعية الجامعة العربية: (علنيّة) أسست سنة ١٩١٠، رئيسها الشيخ رشيد رضا. كان هدفها إقامة حلف بين أمراء شبه الجزيرة العربية.

(٤) جمعية العلم الأخضر: (علنيّة) أسسها الطلبة العرب في الآستانة سنة ١٩١٢. أصدرت جريدة لسان العرب.

(٥) الجمعية العمومية الإصلاحية البيروتية: (علنيّة) أسست سنة ١٩١٣ عند وصول الحزب اللامركزي (جمعية الحرية والائتلاف) إلى الحكم، فوضعت لائحة بمطالبها.

(٦) جمعية البصرة الإصلاحية: (علنيّة) أسسها طالب باشا النقيب، وكان مواليًا للمركزيين. أصدرت جريدة النهضة.

(٧) جمعية بيروت الإصلاحية: ظهرت عندما اتفق المسلم والمسيحي على العمل من أجل لبنان، ناضلت في سبيل الإصلاح لمدة شهرين. أقفلها الأتراك ثم أعادوا فتحها. تألفت من ١٢ عضوًا مسلمًا و١٢ عضوًا مسيحيًا. وكان مركزها باب ادريس في نادي الحرية والائتلاف. وتضيف السيدة يسر كامل الصلح نقلًا عن الوثائق الفرنسية: «بأن كامل الصلح كان على رأس جمعية بيروت الإصلاحية، حيث قدمه السيد سليم أفندي سلام (المستقبل من تسميته من جديد=

عارف النعماني من أعضائها^(١). والواقع أن جمعية الإصلاح البيروتية حققت بعض الإصلاحات والمكاسب في الوظائف العامة أثناء حكم اللامركزية (جمعية الحرية والائتلاف). ولكن بعد عودة الاتحاديين (جمعية الاتحاد والترقي) إلى الحكم عادت الجمعية للمطالبة بالمزيد من الإصلاحات، فردّ الاتحاديون بإغلاق الجمعية والنادي^(٢).

وكان رد أهل بيروت إقفال المحلات التجارية. فقامت السلطات العثمانية بتطويق بيوت آل الصلح في منطقة البسطة الفوقا بالجنود. وتوسط الضابط التركي عزمي بك مع كامل الصلح لحل قضية إضراب بيروت، وطلب كامل ورضا ومنح الصلح إعادة فتح الجمعية الإصلاحية فوعدهم خيرًا^(٣).

هذه المواقف التعسفية للأتراك حركت الجمعيات والمنظمات والأحزاب العربية السريّة والعلنيّة، لعقد المؤتمر العربي الأوّل في ١٨ حزيران ١٩١٣ بدعوة من جمعية العربية الفتاة والتي كان مركزها باريس. ولقد ضمت مجموعة من الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في فرنسا، وشكّلت لجنة تحضيرية للمؤتمر^(٤).

وُجّهت الدعوات لحضور المؤتمر إلى حزب اللامركزية العثماني في مصر

=عضوًا إداريًا، استشاريًا للدولة، كضغط على الدولة لتنفيذ المطالب) إلى الوالي عزمي بك، وتحدث كامل بك الصلح (نائب سابق) باسم ممثلي الجمعية (اللجنة) الإصلاحية (جمعية بيروت الإصلاحية) والمنتخبين من مختلف المذاهب، مقدّمًا ثلاثة نماذج من مشروع الإصلاحات الموضوع من قبل الأعضاء. وتمنّى كامل بك الصلح من جلالة الوالي دراسة المشروع وإيصال نسختين: واحدة إلى الصدر الأعظم والثانية إلى وزير الداخلية.

Documents diplomatiques et consulaires - Annexe à la dépêche N°62 du 17 Mars 1913, p.358 - 359.

- مقابلة مع السيدة يسر كامل الصلح بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٦.

- راجع أيضًا: حسان حلاق: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ص ١٦ - ١٧.

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).

(٢) جريدة المفيد: عدد ٨، تاريخ ٩ نيسان ١٩١٣.

(٣) مقابلة مع السيدة يسر كامل الصلح بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٦.

(٤) تألفت اللجنة التحضيرية للمؤتمر من السادة: شكري غانم وعبد الغني العريسي وعبد الحميد الزهراوي ومحمد المحمصاني وندره المطران وعوني عبد الهادي وشارل دبّاس وجميل فرام وجميل معلوف وسليم علي سلام واسكندر عمّون.

والمتنبي الأدبي وجمعية بيروت الإصلاحية^(١) وجمعية البصرة الإصلاحية وجمعية النهضة اللبنانية وإلى جميع المهاجرين العرب في الأميركيتين.

تناولت أبحاث المؤتمر قضية اللامركزية القائمة على الإصلاح والقضاء على الفساد في الدولة العثمانية، مع التأكيد على عدم الرغبة بالانفصال عن تركيا. واهتمت الأبحاث أيضًا بطرح موضوع القومية العربية، والاستعاضة عن الرابط الديني بالرابط القومي^(٢). وانتهى المؤتمر العربي الأول باتخاذ القرارات التالية:

- ١- المطالبة بالإصلاحات ورفض الاحتلال الأجنبي.
- ٢- مشاركة تركيا في الإدارة والدفاع والمال والشؤون الخارجية.
- ٣- جعل قضية التجنيد والخدمة العسكرية محلية وداخل الولاية.
- ٤- مطالبة الأرمن باللامركزية.
- ٥- المطالبة بأموال متصرفية جبل لبنان.
- ٦- جعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد.
- ٧- الحد من سلطة المجالس العمومية في بيروت، والمطالبة بمستشارين أجانب، وتشكيل إدارة مركزية في كل ولاية^(٣).

واشترط أعضاء المؤتمر تنفيذ هذه البنود، وإلا فإنهم سيضطرون إلى مقاطعة جميع مناصب الدولة العثمانية، فلجأت تركيا إلى المفاوضة.

إذن إهمال الدولة العثمانية لمطالب الولايات العربية، ونشاط الإعلام والأحزاب الوطنية المدعومة من الدول الأجنبية والتي طرحت أفكارًا رائعة عن الاستقلال والقومية والحرية، كل ذلك دفع العرب إلى عقد المؤتمر العربي الأول في باريس. فكان لمقرراته صداها الخطير على صعيد العلاقات العربية - التركية والعربية - الأجنبية. وبالرغم من تأكيد العرب على عدم الرغبة في الانفصال، والمطالبة بالإصلاحات فقط، فإن طرح قضية القومية العربية وضرورة إلغاء الرابط

(١) ضم الوفد البيروتي إلى المؤتمر العربي الأول في باريس السادة: أحمد مختار بيهم وسليم علي سلام وخليل زينية وأحمد حسن طبارة وأيوب ثابت.

(٢) علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ص ٤٣-٥٨.

(٣) كتاب المؤتمر العربي الأول، ص ١١٣ - ١٢٠؛ أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٢٠٦-٢٠٩؛ زين زين: نشوء القومية العربية، ص ١٧٠-١٧١.

الديني واستبدال الرابط القومي به يعني ضمناً رفض الخلافة العثمانية التي حكمت العرب باسم الدين الإسلامي. إضافة إلى أن دعوة المسلمين للتوجه لدول مسيحية^(١) يعني خطوة مهمة لتسهيل الهيمنة الأجنبية. ويؤكد ذلك معارضة شكيب أرسلان لتوجهات المؤتمر^(٢) وبخاصة فيما يتعلق بطلب الحماية الفرنسية من قبل جمعية النهضة اللبنانية.

ظهرت نتائج المؤتمر من خلال التحرك السري للجمعيات الإصلاحية واللامركزية في الولايات العربية. وكان المحرك والموجه والمحول مصر. ولقد أشار عارف النعماني إلى ذلك بقوله: «إن ما قام به الأتراك دفع الوطنيين إلى التعامل مع جمعية العهد السريّة في مصر، والتي انبثقت منها جمعيات وفروع كثيرة، أشرفت على عملها وإدارتها. كالجمعية الثورية، واتصلت بجمعيات قائمة كالجمعية الإصلاحية لتوجهها بقلب سري^(٣)».

وهكذا تمكنت جمعية العهد السريّة من استقطاب التحرك السياسي العربي، وتوجيهه ضد الأتراك. ودخلت بيروت ضمن التحرك السياسي السري لجمعية العهد من خلال جمعيتي الإصلاح واللامركزية^(٤) والنادي الأهلي.

رئاسته للنادي الأهلي

وانخرط عارف النعماني في العمل السياسي السري. فأسس النادي الأهلي في بيروت سنة ١٩١٤. وانتخب فيما بعد رئيساً له. وكان للنادي واجهة ثقافية تخفي وراءها تحركاً سرياً لجمعية العهد^(٥).

وحقيقة الأمر أن عارف النعماني بات آنذاك زعيماً وطنياً لبيروت وقطباً مهماً في السياسة اللبنانية. من محلاته في آخر سوق الطويلة، أدار العمليات السياسية

(١) Ismail: Documents diplomatiques et consulaires, vol 20, p.p. 104-106.

(٢) كتاب المؤتمر العربي الأول، ص ١٠٨-١١٠.

(٣) محمد قرة علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).

(٤) جمعية اللامركزيين السريّة: أسست في بيروت بعضوية السادة: مصطفى سميسمة ونور القاضي وعبد القادر الخرسا ومحمد المحمصاني ومحمود المحمصاني والشاعر عمر حمد. محمد قرة علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).

(٥) المصدر نفسه.

المنوطة به بسريّة وهدوء ولباقة. وقد كان متجرحاً في بيروت ملتقىً للوطنيين الذين ينقلون إليه الرسائل والتعليمات السياسية السريّة التي تصبّ ضمن التحرك السياسي العربي العام المناهض للأتراك. وكثيراً ما لجأ الوطنيون إلى لبس الملاءات والحجاب تمويهاً للعسكر التركي الذي كان يترصدهم في كل مكان. وكثيراً ما قصدت النساء متجرحاً لنقل رسائل الوطنيين السريّة إليه، وتلقّي الدعم المادي منه^(١).

وكانت لجمعيات بيروت المنبثقة عن جمعية العهد إشارات وحركات معينة للتعرف بين أعضائها^(٢) مما يظهر شدة مراقبة الدولة العثمانية. ولكن بالرغم من ذلك كان التحرك السياسي السري في بيروت مفعماً بالإيمان بعودة الخلافة إلى أصحابها الشرعيين. وأكبر دليل على ذلك أن أعضاء جمعية اللامركزيين في بيروت اعتبروا الأمر منتهياً، فصمموا علماً خاصاً بهم^(٣) وطلبوا من الشاعر خليل مطران وضع نشيد لهم. واتصلوا بأمرأى شبه الجزيرة العربية لدعم تحركهم والمشاركة في العمل ضد الدولة التركية. ولقد شكّل هؤلاء فيما بعد القوافل الأولى لشهداء ٦ أيار ١٩١٥.

بالمقابل كان في جبل لبنان تحرك من نوع آخر، يعمل تحت الهيمنة الفرنسية التي زرعت في الجبل منذ العام ١٨٦٠ حب فرنسا وكره الأتراك. لقد هاجمت فرنسا سياسة التتريك، ولكنها نشرت بين أبناء الجبل مقولة هي: "إن لكل إنسان وطنين: وطنه الأصلي وفرنسا"^(٤). فكانت جمعية النهضة اللبنانية مثلاً واضحاً لتأثير فرنسا في جبل لبنان ولسانها الناطق من خلال الصحافة اللبنانية التي هيّجت الرأي العام وحثته على الثورة ضد الأتراك وطلب الحماية الفرنسية. وقد أدى ذلك إلى ملاحقة الأتراك لتلك الجرائد وإقفالها، فانتقلت إلى مصر. والملاحظ هنا أنه

(١) مقابلة مع السيدة يسر كامل الصلح في ١٨/٤/١٩٩٦.

(٢) إشارات التعارف بين أعضاء الجمعيات البيروتية المنبثقة عن جمعية العهد السريّة كانت على درجتين (كلمة «هلال» بتهجئتها حرفاً حراً) و(كلمة «أبو بكر» بتهجئتها حرفاً حراً) وذلك عند المكاملة. أما في المجالس فكانت إشارة السر وضع إصبعين (السبابة والبصير) على الذراع اليسرى وإخفاء بقية الأصابع. راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).

(٣) العلم العربي مجموعته ثلاث شرائط: سوداء وخضراء وبيضاء، يعلوها زر أحمر يعلو في عروة السترة العليا. محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).

(٤) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ١٣.

بالرغم من التناقض الحاد في التحرك السياسي بين أبناء بيروت وسكان جبل لبنان، فإن الصحافة اللبنانية تمكنت من إيجاد تحالف بين الجمعيات الإصلاحية واللامركزية والأهلية والنهضوية بهدف تحريك الثورة ضد الأتراك^(١).

هذه الأجواء المشحونة بالكره للأتراك، جعلت الوضع السياسي الداخلي للبلاد العربية، ومنها لبنان، ينذر بالانفجار الوشيك تجاه أي مبادرة عنف أو قمع من جانب الأتراك الذين تشددوا في مراقبة الوطنيين. رغم أن كافة الجمعيات في لبنان هادنت الأتراك مؤقتاً ريثما تتضح الأوضاع السياسية عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى التي كانت بدايتها مع انتصار تركيا في الدردنيل وكوت العمارة في العراق، وقيام جمال باشا بإنشاء المجلس العرفي في عاليه لمحكمة الوطنيين بتهمة الانتماء إلى جمعيات تطالب بالاستقلال، وتقوم بمراسلة الدول الأجنبية وتلقّي معونات منها. وقد أدى ذلك إلى استشهاد العديد من اللبنانيين والسوريين^(٢) والحكم بالموت غيائياً على مجموعة أخرى منهم^(٣).

وتابع جمال باشا سياسته في قمع الوطنيين، فأغلق النوادي والجمعيات في بيروت ومنها النادي الأهلي الذي ختم بالشمع الأحمر واعتقل رئيسه عارف النعماني وسبق من كان فيه للتحقيق. وقد حرص عارف النعماني على إخفاء سجل

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).

(٢) الشهداء الذين أعدموا في ٦ أيار ١٩١٥ هم السادة: عبد الحميد الزهراوي - شفيق المؤيد العظم - شكري العسلي - عبد الغني العريسي - سيف الدين الخطيب - محمد المحمصاني - محمود المحمصاني - صالح حيدر - عبد الوهاب الإنكليزي - رفيق رزق سلوم - عمر حمد - عارف الشهابي - عبد الكريم خليل - أحمد طيارة - عمر الجزائري - علي الأرمنازي - حافظ السعيد - محمود العجم نجا - نايف تلو - محمد مسلم عابدين - سليم عبد الهادي - سليم الجزائري - أمين لطفي - عبد القادر الخرسا - رشدي الشمعة - محمد الشنطي - جورج حداد - باترو باولي - علي الناشبي - نور القاضي - توفيق البساط - جلال البخاري.

(٣) حكم غيائياً على السادة: رفيق العظم - حقي العظم - رشيد رضا - داود بركات - فارس نمر - شبلي شميل - خليل مطران - إبراهيم النجار - جورج عبد المسيح - جبرائيل آصف - نجيب عازوري - جورج بحري - خليل أبي اللمع - خليل بولاد - هنري حبيب - نجيب البستاني - يوسف أمين البستاني - فيليب شما - نجيب قطان - نجيب قريصاتي - جورج دومان - كميل إده - ميشال لطف الله - يوسف كحيل - يوسف الخازن - خليل مشاقة - يوسف الصيدناوي - ألفونس زنبه - فؤاد الخطيب - قسطنطين يتي - رزق الله أرقش - سليم ثابت - عزة العابد - شكري غانم. راجع: أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٢٤٠ - ٢٥٠.

النادي الأهلي الذي يحوي العديد من أسماء الأعضاء العاملين فيه، وهذا الحرص والانتباه أدى إلى إفلات بعض أهل بيروت من حبل المشنقة. وصار خطباء النادي الأهلي فيما بعد شهداء ٦ أيار ١٩١٥^(١).

جمال باشا واعتقال عارف النعماني

خضع عارف النعماني للتحقيق مع سواه من زعماء الجمعيات الإصلاحية واللامركزية في بيروت، وربما كان للبلاهة التي اصطنعها أثناء رده على المحقق بقوله: «إنه انتخب رئيساً لنادٍ ثقافي فقط، متسائلاً عن سبب استجوابه، وماذا يملكون من أدلة إجرامية ضده» دوراً دفع المحقق إلى تأكيد جنونه فنجاً، وخرج ينفذ غبار الموت عن كتفيه. ولكن نجاته من حبل المشنقة دعت بعض معاصريه إلى اتهامه بشراء حياته بالمال، فرد قائلاً: "إنه لو كان لأحد أن ينقذ نفسه بماله لما عُلق أحد على أعواد المشانق، ولما نجا أحد من زعماء الجمعيات اللامركزية والإصلاحية في بيروت والجبل"^(٢).

ولعل السبب في نجاته ضبطه لأعصابه وتركيزه الذهني على اصطناع البلاهة كما ذكرنا. وربما كان السبب أيضاً العلاقات المتينة بين أسرة آل النعماني وولاية الدولة العثمانية، ومنهم جمال باشا، التي تجعلهم بنظر الأتراك من الموالين لهم وليس العكس. ولكن الرأي الغالب أن عارف النعماني كان ذا شخصية قيادية أمسكت بسرّية تامة بسياسة القوى الوطنية في بيروت وربطتها بالتوجه السياسي المناهض للأتراك داخل الدول العربية وبالتحديد بجمعية العهد في مصر. فمن خلال خطب ومحاضرات أعضاء النادي الأهلي الذي ترأسه، استقطب التحرك السياسي الوطني لبيروت بحنكة وروية دون أي اتصال مباشر مع دول أجنبية، أو حتى حضور مؤتمرات دولية، أو الاتصال بالأمير فيصل في تلك المرحلة كما فعل سواه (المحمصاني والزهرراوي والعريسي)^(٣) كي لا يثير شبّهات الدولة العثمانية ضده. وبلغة ذكية تمويلية حوّل متجره إلى مقر للتحرك السياسي السري بدلاً من النادي الأهلي الذي كان مراقباً من الأتراك. وما إخفاؤه السجل إلا دليل يؤكد

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).
(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).
(٣) المصدر نفسه (مجموعة رقم ٢٠٨٥).

حنكته السياسية. إضافة إلى أنه كان فوق الشبهات وفوق الوشايات السياسية المغرضة التي أودت بحياة بعض شهداء لبنان من أمثال عبد الكريم الخليل.

واستمر جمال باشا بالتنكيل ببيروت وأهلها، فلم يكتفِ بالإعدامات وإغلاق الجمعيات والنوادي والتحقيقات والمحاكمات وأخذ الناس بالشبهة، بل عمد إلى تشتيت بعض الأسر البيروتية والسورية المناضلة، فساق جمال باشا هذه العائلات إلى الأناضول، وقام بتجويد أهل بيروت ومدن الساحل اللبناني بقطع القمح والطحين عنهم. فانتشرت الأمراض وعمّ الفقر والجوع والبؤس لبنان^(١)، وبخاصة بيروت التي هجرها أهلها بسبب تهديد الحلفاء بضربها بالبوارج، فاضطر عارف النعماني إلى الهرب من بيروت بعد أن توقفت أعماله التجارية بين لبنان ومانشستر بسبب إعلان الحرب العالمية الأولى. ولأن لبنان بحكم وقوعه تحت الحكم العثماني كان في حالة حرب مع دول الحلفاء، ومنها إنكلترا، انعكس ذلك سلباً على تجارة عارف النعماني التي توقفت كلياً^(٢)، فانتقل إلى مصيفه في عاليه. ولكن بسبب تهديد الحلفاء بضرب بيروت بالبوارج، توجه مع عائلته إلى دمشق، فاستغل فرصة وجوده هناك لابتياح القمح من قرية السلمية وتوزيعه على مواطنيه في بيروت الذين كانوا يثّون من الجوع، نتيجة انقطاع المواد التموينية بسبب الحرب، مخاطراً بنفسه في الوقوع بقبضة العسكر وتسليمه إلى الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش التركي الذي كان رديفاً فيه.

ورغم تنقله الدائم بين سوريا ولبنان لم يُسأل عن بطاقته العسكرية^(٣)، علماً بأن أهل بيروت عانوا كثيراً من جند جمال باشا الذين كانوا يثّون الجواسيس ويترصدون أبناء بيروت، ويداهمون المنازل بحثاً عن الشباب البيروتي، ليقودوهم إلى القشله في السراي الكبير تمهيداً لتوزيعهم على جبهات القتال في اليمن والعراق ضد الحلفاء^(٤) مما عرض الأسر البيروتية لفقدان أو موت أكثر من شاب واحد ضمن العائلة الواحدة^(٥).

(١) عبد الرحمن بكداش العدو: بيروت خلال ثلثي قرن، ص ٣٩ - ٤٠.
(٢) مقابلة مع السيد وجيه أنيس النعماني في ٢٣/٣/١٩٩٦.
(٣) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٥).
(٤) عبد الرحمن بكداش العدو: بيروت خلال ثلثي قرن، ص ٤٥.
(٥) من مذكرات الرسام البيروتي مصطفى فروخ رحمه الله، حول اثنين من إخوته عاداً من الخدمة=

وقبل الانتقال إلى التحرك السياسي لعارف النعماني في دمشق، ننهى مرحلة مهمة من نضاله السياسي في مدينته بيروت من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٤، عمل خلالها من أجل إصلاح الأوضاع السياسية والإدارية في لبنان. فتعاون مع الأتراك، ولكنه فشل في إحراز أي تقدّم أو إحداث أي تغيير. لذا انتقل إلى التعاون مع جمعيات عربية مصرية مناهضة للأتراك. ففتح فروعاً لها في بيروت وذلك ضمن طروحات سياسية مختلفة حول نقل الخلافة إلى مصر أو إلى الحجاز تحت حكم خديوي مصر أو الشريف حسين، وذلك ضمن الهيمنة الإنكليزية أو إلغاء الخلافة وربط سوريا ولبنان بالحكم الفرنسي^(١). ولكن هذه التحركات السياسية من قبل الجمعيات والنوادي انتهت بحملة اعتقالات وإعدامات قضي خلالها على الحركة الوطنية في البلاد العربية. ولكن هل انتهت المقاومة الوطنية؟ سنحاول معرفة ذلك من خلال التحرك المقبل لعارف النعماني في دمشق.

الفصل الثالث تحركه السياسي في دمشق

ترك عارف النعماني لبنان بسبب سوء الأوضاع الأمنية والاقتصادية متوجّهاً إلى دمشق، حاملاً معه خيبة الأمل والحسرة على فشل كل الجهود النضالية في لبنان بسبب حملات الاعتقالات والإعدامات التي قامت بها تركيا.

والواقع أن وضع سوريا لم يكن أفضل من وضع لبنان. فقد دخلها جمال باشا والياً سنة ١٩١٣، فنشر جواسيسه لتتبع تحركات الوطنيين ضمن الجيش العثماني، وقام بإعدام عدد منهم. فبدأت اتصالات رجال الحركة الوطنية في سوريا بالشريف حسين حاكم الحجاز وابنه الأمير فيصل، وأدى ذلك إلى تحويل اتجاههما من فكرة اللامركزية إلى السعي للحصول على الاستقلال بتأييد ودعم بريطاني مقابل مساعدتها في حربها ضد تركيا. ونزل الأمير فيصل في دار عطا البكري الذي كان مقرّاً للاجتماعات السريّة، وذلك أثناء مروره على دمشق متوجّهاً إلى الآستانة لتقديم شكوى والده ضد الوالي العثماني. فاتصل بأعضاء جمعية العهد وجمعية الفتاة^(١). فانتسب إلى الجمعيتين ووضع ميثاق دمشق للثورة على الأتراك ومساندة بريطانيا من أجل الاستقلال^(٢).

والتقى عارف النعماني بالأمير فيصل في دمشق، فعادت جذوة الأمل في النضال الوطني إلى نفسه بعد هذا اللقاء. وتتابعت اللقاءات مع الأمير، ولكن جذوة الأمل هذه ما لبثت أن خفتت في ظل الصمت الطويل الذي لاذ به الأمير في أحد لقاءاته به، مما ترك لدى عارف النعماني تساؤلاً ما لبث أن تبدد، عندما علم أن جمال باشا يريد إلقاء القبض عليه^(٣).

- (١) جمعية الفتاة: أسسها ياسين الهاشمي في دمشق وانتقلت سنة ١٩١٤ إلى بيروت. راجع: السيد محمد سلام، جريدة الحياة، ٢٦ شباط ١٩٥٣.
(٢) جورج أنطونيوس: بقظة العرب، ص ٢٣٧ - ٢٤٣.
(٣) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٥).

- =العسكرية الإجبارية داخل الجيش التركي في اليمن، وما لبث أن توفي لإصابتهما بأمراض نتيجة سوء التغذية وانتشار الأمراض والأوبئة.
(١) T. Touma: Paysans et instruction féodales chez Druzes et les Maronites du Liban du XVII siecle à 1914, pp 704-709، أيضاً: حليم بركات: تاريخ المجتمع العربي، ص ٤١٨.

أثناء ذلك كانت الأوضاع السياسية في سوريا ولبنان تسير في اتجاهين معاكسين: اتجاه من جانب حزب الاتحاد السوري المركزي، ومركزه مصر، ويطالب بسوريا الكبرى والحكم الهاشمي، ويقابله اتجاه آخر للنهضويين اللبنانيين في باريس تحت رعاية شكري غانم، وجمعية عصبة التحرير السورية اللبنانية في نيويورك برئاسة أيوب ثابت. وهذا الاتجاه يعمل من أجل استقلال سوريا وضم جبل لبنان ودمشق وحلب ضمن اتحاد فدرالي، ويطالب بالحماية الفرنسية مع إبعاد الحجاز عن الحكم الفرنسي^(١).

ثورة الشريف حسين وبداية الحكم الفيصلي للبنان

ولكن الأجواء السياسية سنة ١٩١٦، كانت تنذر بحدوث مستجدات على الساحة العربية. وبالفعل، ما هي إلا أيام قليلة حتى قام الشريف حسين بإطلاق رصاصته الأولى من بطاح مكة (معقل الإسلام) إيذاناً ببداية الحرب ضد الأتراك، تخلصاً من الأوضاع الاقتصادية المتردية في البلاد، ومن أجل إقامة دولة عربية موحدة تمتد من الخليج إلى كيليكا، مع إدارة خاصة لبغداد - البصرة، والتنازل عن الساحل السوري. ولقد تم الاتفاق من خلال مراسلات (حسين - مكماهون)^(٢).

وقام الأمير فيصل باحتلال العقبة، فسقطت غزة والخليل ويافا وبيت لحم. وتابع الجيش العربي تحرّكه بمساعدة الجنرال اللنبي ولورانس متوجّهاً شمالاً بخطّين: داخلي ما وراء دمشق (حمص - حماة - حلب) وساحلي (حيفا - عكا - صور - صيدا - طرابلس)^(٣)، وأدى ذلك إلى نهاية الحكم التركي نتيجة الثورة العربية التي جمعت الشباب السوري والعراقي والمصري واللبناني. واحتل الحلفاء الدول العربية بسهولة تامة، لأن الثوار العرب، وهم أصحاب البلاد، ساعدوا الحلفاء من أجل نيل الاستقلال والتخلص من الأتراك واستعادة المجد السالف^(٤).

- (١) يوسف السودا: في سبيل الاستقلال - في وادي النيل - (١٩٠٦ - ١٩٢٢)، ج ١، ص ٩٦ - ٩٧.
- (٢) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ١٦ - ١٧.
- (٣) محمد بدیع شریف: النهضة العربية الحديثة، ص ١٣٤ - ١٣٥.
- (٤) ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٧٢.

إذن انتصرت الثورة العربية الكبرى، وانتصر الحلفاء أيضاً، وانتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة دول المحور وانسحاب تركيا من الأراضي العربية. وفي ٢ تشرين الأول ١٩١٨، دخل الأمير فيصل دمشق، بعد أن غادرها الموظفون الأتراك، وأعلنت الحكومة العربية في دمشق برئاسة الأمير سعيد الجزائري وبمعاونة شكري الأيوبي، وبدیع المؤيد، وفارس الخوري.

ولكن في المقابل بقيت الاتجاهات السياسية السابقة على حالها. لأن الساحة العربية ظلت منقسمة بين تيار (حجازي - سوري) بهيمنة إنكليزية، وتيار (سوري - لبناني) بهيمنة فرنسية. وسيبدو ذلك واضحاً من خلال البرقيتين اللتين أرسلهما سعيد الجزائري إلى ممثلي لبنان آنذاك: الأولى إلى عمر الداعوق (ممثّل بيروت)، والثانية إلى البطريك الياس الحويك (ممثّل جبل لبنان)^(١).

وقام عمر الداعوق بتسلّم حكم ولاية بيروت من اسماعيل حقّي، وتنفيذ مضمون البرقية، وتشكيل حكومة في بيروت ممثلة للحكومة العربية في دمشق برئاسة وعضوية السادة: سليم علي سلام وأحمد مختار بيّهم وسليم الطيارة مديراً للأمن يعاونه عارف النعماني ومخايل طراد وألفرد سرسق وسواهم^(٢). وأصدرت الحكومة الجديدة منشوراً، تدعو فيه الأهالي إلى منع حمل السلاح والتظاهر، والعطف والمحافظة على الأسر التركية النازلة بينهم، وتجريد الجيوش العثمانية من أسلحتها ومنع تمردها، وتجميعها في سراي بيروت. ورفع العلم العربي^(٣) وقامت الحكومة بتعيين عبد الحميد كرامي متصرفاً لطرابلس، ورياض الصلح حاكماً لصيدا^(٤).

أما البرقية الثانية فقد رفضها البطريك الياس الحويك، فعهد بتنفيذ مضمونها

- (١) زين زين: نشوء القومية العربية، ص ٨٤.
- (٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).
- ويضيف أنيس النصولي إلى أسماء أعضاء الوزارة السادة: رامز سركيس وجان فريج ومحمد الفاخوري وصلاح بيّهم ومحمد سلام ويوسف عوده وعارف دياب. راجع: عشت وشاهدت، ص ١٦ - ١٧.
- (٣) رفعت العلم فاطمة المحمصاني أخت الشهيد محمد ومحمود محمصاني. راجع السيد محمد سلام، جريدة الحياة، ٢٦ شباط ١٩٥٣.
- (٤) المرجع نفسه.

إلى حبيب باشا السعد الزعيم الماروني الذي كُلف بتشكيل حكومة عربية في جبل لبنان، وحلف على الإنجيل يمين الولاء والطاعة للشريف حسين في مكة. ورفع العلم العربي على سراي بعبدا^(١).

وأوفد الأمير فيصل اللواء شكري الأيوبي كحاكم عام على بيروت وجبل لبنان باسم ملك الحجاز^(٢) وجميل الألشي كحاكم عسكري مع مائة جندي^(٣).

هذه السياسة لاقت الترحاب والتهليل من مسلمي لبنان وسوريا^(٤) ولكنها زرعت الشكوك والخوف لدى فرنسا ونصارى لبنان من نوايا الأمير فيصل، ومن ورائه إنكلترا، وبالتالي أظهرت مدى جهل الأمير بأوضاع الصراع الطائفي السياسي في جبل لبنان وتاريخها منذ ١٨٦٠^(٥).

ولا شك في أن هذا الانقسام ساعد الحلفاء على ضرب أمانى القوى الوطنية في لبنان بتحقيق الوحدة والاستقلال. وذلك من خلال معاهدة سايكس-بيكو السرية بين فرنسا وإنكلترا التي نصّت على تقسيم البلاد العربية فيما بينهما. فبعد ١٥ يومًا من تأليف عمر الداعوق الحكومة العربية في بيروت دخلت الجيوش الفرنسية بيروت، فطوّق الجنود السراي والمدافع. وأنزل العلم العربي، وألغيت كل الإجراءات التي قامت بها حكومة الأمير فيصل، وطلبت فرنسا انسحاب شكري الأيوبي من لبنان. وقام القائد الفرنسي كولوندر والحاكم العسكري دي بياباب بزيارة البطريرك الياس الحويك لتأليف مجلس إدارة الجبل برئاسة حبيب باشا السعد^(٦). هذه الأوضاع السياسية، قسمت الرأي العام اللبناني بشكل عام إلى فريقين: فريق مسلم معارض لسياسة فرنسا، وفريق مسيحي مؤيد وداعم لسياساتها.

(١) مجلة المقاصد، عدد ١، ١٩٨١، مقال للرئيس صائب سلام بعنوان: هل فشل الاستقلال؟ كانون الثاني، ص ١٦٨. أيضًا: السيد محمد سلام، جريدة الحياة، ٢٨ شباط ١٩٥٣.

(٢) زين زين: نشوء القومية العربية، ص ٨٤.

(٣) أنيس التصولي: عشت وشاهدت، ص ١٧.

(٤) ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٧٤.

(٥) زين زين: نشوء القومية العربية، ص ٨٤.

E. Rabbat; La formation Historique du Liban, pp. 268-269.

(٦) ويضيف السيد محمد سلام بأن إنزال العلم كان بإشراف فصيلة إنكليزية بحضور الجنرال ديدز وكيل الجنرال اللنبي. جريدة الحياة، ٢٦ شباط ١٩٥٣.

الفريق المسلم عبّر عارف النعماني عن خيبة أمانية الوطنية إزاء ما جرى بقوله: "إنه ورئيس الحكومة وأعضاءها، انكمشوا على أنفسهم، ومضوا يفكرون بالمقاومة والعصيان"^(١).

أما الفريق المسيحي، فقد كشف عن أمانية بإحلال الوجود الفرنسي مكان الوجود العثماني وإلغاء كل مظاهر الهيمنة العربية، معبرًا عن ذلك بالرقص والتهليل.

وبعد مرور شهر على (إنذار دي بياباب) وصل الأمير فيصل إلى بيروت فنزل ضيفًا على الجنرال بلفن الذي كان يقيم في قصر الياس سرسق واجتمع برئيس الحكومة العربية وأعضائها، وأعرب عن نيته بتأسيس وكالة دار الاعتماد العربي. فأعاد ذلك لعارف النعماني ولرئيس الحكومة وأعضائها الأمل بالوحدة العربية، طالما أن هناك ما يربط لبنان بالوطن العربي. فعبر عن ذلك بقوله: "كان طبيعيًا أن نهلل للفكرة، ولكن تعيين أسعد التميمي معتمدًا للوكالة بدلًا من عمر الداعوق أصابنا بالخيبة والمرارة"^(٢). مما يعني لعارف النعماني، أن المد العربي بدأ بالانحسار التدريجي عن لبنان. وأن علاقة العرب بلبنان لن تكون انصهارًا ووحدة بل تأخ وتكامل، ومجريات الأمور توضح ذلك، فبدلًا من حكومة عربية، صار هناك ممثل معتمد ووكالة اعتماد عربي، وهذا التدبير لحفظ ماء الوجه، وهو مرحلي يلغى فيما بعد. وبالفعل تعاقب على معتمدية الوكالة ثلاثة فقط: أسعد التميمي ويوسف العظمة وجميل الألشي. ثم ألغيت الوكالة في لبنان.

هذه المفاجآت في الأحداث السياسية اللبنانية المتلاحقة وغير المتوقعة تدعونا إلى وقفة تاريخية تحليلية للأوضاع السياسية في بلاد الشام، وتحديدًا في جبل لبنان منذ سنة ١٨٤٠ ليصار إلى ربطها مع أحداث ١٩١٨. فبعد سنة ١٨٤٠ عاد جبل لبنان إلى الحكم العثماني المباشر إثر معاهدة لندن والتي قضى فيها على

(١) يوسف السودا: في سبيل الاستقلال، ج - وادي النيل - ١٩٠٦ - ١٩٢٢، ص ١٥٤.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧). ويضيف السيد محمد سلام بأن المعتمد هو جميل الألشي، يعاونه أسعد التميمي ثم يوسف العظمة ثم رشدي الصفدي راجع: جريدة الحياة، ٢٦ شباط ١٩٥٣.

التحالف المصري - الشهابي^(١) فاستنجد مسيحيو الجبل بفرنسا. وما لبثت الاضطرابات في الجبل أن تجددت، فقسم الجبل إلى قائممقاميتين (درزية ومسيحية).

وتابعت فرنسا تدخلها في شؤون لبنان من خلال نابليون الثالث الذي عمل على إيجاد منطقة نفوذ لفرنسا تفصل بين مصر والأناضول^(٢) ولكن مع ازدياد الفتن بين القائممقاميتين سنة ١٨٦٠ تدخلت الدول الأجنبية لإيجاد نظام بديل، فاتفق على إقامة نظام المتصرفية في جبل لبنان فقط وجعله إمارة مستقلة تحت حكم أمير مسيحي أجنبي^(٣)، ورضي مسيحيو الجبل أن لا يكون وطنياً^(٤)، واعتبروا ذلك أول خطوة نحو الاستقلال.

إذن عملت فرنسا على إيجاد نظام المتصرفية في الجبل لتقويض أساليب الحكم الإسلامي العثماني وإحلال النظم الاستعمارية الفرنسية في المشرق كله^(٥) وجعل الجبل بديلاً لفرنسا عن تركيا وجسراً للعبور إلى المشرق العربي^(٦). وساعد فرنسا في ذلك خوف المسيحي من المسلم وعناده من أجل إثبات ذاتيته تجاه المفهوم الإسلامي (لأن الحكم للإسلام) وأن أصحاب الديانات الكتابية يصبحون بالدرجة الثانية أو يسمح لهم بالعيش في ظل الإسلام. وأنه أثناء حكم الدولة العثمانية ظهرت الفروقات بين المسلمين والكتبيين، فمُنِعوا من حمل السلاح، ومن الشهادة أمام المحاكم وركوب الأحصنة، ووجهت إليهم عبارة (أشمل)، وفرض عليهم أحياناً لباس معين^(٧).

هنا يظهر لنا سبب التدخل العسكري السريع لفرنسا، وتعيين حاكم عسكري لها في لبنان بهدف تفويت الفرصة على الأمير فيصل لضم لبنان إلى المملكة العربية المزمع قيامها.

(١) Adel Ismail: Le Liban sous les Mutasarrifs, P. 23.

(٢) محمد قره علي: خطط الشام، مج ٣، ص ٩٢ - ٩٥.

(٣) Mounir Ismail: Segretaria di serdigna, cart N 223, dépêche de villanis à cavour, No.

74.21, Avril 1861; N 76, Mai 1861; N 77 19, Juin 1861.

(٤) لحد خاطر: عهد المتصرفية في لبنان، ص ١١.

(٥) عبد العزيز نوار: محاضرات في تاريخ لبنان الحديث، أُلقيت في جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٠.

(٦) أحمد طريه: لبنان في عهد المتصرفية ١٨٦٠ - ١٩٢٠، ص ٧٧ - ٧٨.

(٧) تيودور هانف: لبنان في زمن الحرب، ص ٢٠.

حوار فيصل - النعماني حول استقلال لبنان

بناء عليه، قام عارف النعماني كزعيم بيروت وكسياسي مرتبط بالأمير فيصل من أجل الاستقلال والوحدة العربية بتحليل المستجدات السياسية في لبنان وما يترتب عليها من نتائج سلبية أو إيجابية، واضعاً قضية موقفه السياسي العربي الوجودي في نقطة تجاذب حاد بين حلم الوحدة العربية، وواقع الكيان المميز لوطنه لبنان وبالتحديد لبيروت.

فمن خلال الحوار التاريخي الخاص الذي دار بين الأمير فيصل وعارف النعماني بعد وصوله إلى لبنان، وتأسيس وكالة الاعتماد العربي، أدرك أن الأمير فيصلاً يجد صعوبة في ضم لبنان إلى باقي الدول العربية، وأن هناك تدخلات قوية وضاغطة من جانب الدول الأجنبية، تحول دون ذلك. وقد بيّن ذلك من خلال التدخل العسكري السافر في لبنان سنة ١٩١٨ إضافة إلى ما سبق أن ذكرناه عن استمرار التدخل الفرنسي في شؤون جبل لبنان منذ ١٨٤٠. فكان جواب عارف النعماني كزعيم سياسي لبناني بيروت مسلم، يخاطب أميراً عربياً يرتبط معه بقضية مصيرية واحدة تتعلق بوحدة لبنان واستقلاله مع الدول العربية هو التالي: "إن نحن ضمنا لبنان إلى الدول العربية ضمّاً فسيتعبنّا كثيراً، لأن بعض أبنائه يطلبون حماية فرنسا. إنني أرى ترك لبنان مستقلاً، شرط أن تراعى أمانى اللبنانيين الوطنية في كيفية إدارة مقاطعتهم لبنان، ضمن حدود لبنان ما قبل الحرب العامة. وشرط أن يكون لبنان بمعزل عن كل تأثير أجنبي وأن يكون حاكمه وطنياً، وتكون علاقته بسوريا محصورة في وحدة اقتصادية"^(١).

هذا الطرح السياسي لعارف النعماني ليس صادراً عن تفكّه سياسي يقصد به التسلية، إنما هو وليد تجارب عاشها آل النعماني في تفاعل مستمر مع الولاة الأتراك لبيروت، واستقطاب سياسي لزعماء الحركة الوطنية فيما بعد، وعارف النعماني ليس إنساناً مغموراً، إنما هو زعيم وطني لجمعية سرّية عملت داخل بيروت ضمن تحرك سياسي عربي، وقد اعتُقل وخضع للتحقيق وكاد أن يشنق كما سبق أن ذكرنا. لذا حمل رده على الأمير أبعاداً سياسية طرحت النقاط التالية:

أولاً: أشار عارف النعماني إلى «أن ضم لبنان إلى الدول العربية سيتعبنّا كثيراً»،

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).

موضحةً للأمير أن هناك فئات من اللبنانيين ترفض، لا بل تخاف من الحكم العربي، وخير مثال لذلك موقف شكري غانم والبطريك الياس الحويك - ومن ورائهما فرنسا - تجاه الحكومة العربية.

ثانيًا: أكد الأمير "أن بعض أبناء لبنان يطلبون حماية فرنسا". وحادثة السراي والتدخل العسكري السريع لفرنسا وتهليل المسيحيين لذلك فيه خير إيضاح لما يقوله.

ثالثًا: طلب من الأمير "ترك لبنان مستقلاً". إن كلمة (ترك) تعني أن العكس سيجرّ البلاد إلى الخراب. وهذا الموقف حق لعارف النعماني في ذمة تاريخ لبنان الحديث والمعاصر. فهو المطالب باستقلاله، بل والمطالب بدولة لبنان الكبير، لأنه طلب من الأمير ضم ما سُلخ من أراضيه، لتعود اللحمة إلى أبنائه. وأن يكفل للبنانيين شروط التعايش الإسلامي - المسيحي.

رابعًا: أوضح للأمير أن الأجنبي وراء انقسام لبنان، والحاكم الوطني هو الذي يستطيع أن يراعي تطلعات أبنائه كافة إلى العدل والمساواة، وهو في إصراره أن تكون الوحدة مع سوريا محصورة بالاقتصاد، يعرف كم عانى لبنان من الجوع سنة ١٩١٤، ولولا القمح السوري لمات أكثر أبناء لبنان.

نلاحظ مما تقدم، أن عارف النعماني هو الداعي لاستقلال لبنان، وهو المطالب بدولة لبنان الكبير، والمناادي بتحييد لبنان أجنبيًا والعامل من أجل ربطه بسوريا اقتصاديًا.

وبعد حوالي نصف قرن تقريبًا، قام الأستاذ سعيد عقل بإحياء ذاكرة التاريخ اللبناني المعاصر. فأكد على فضل عارف النعماني، وسعيه من أجل الاستقلال وإعادة لبنان المشردم إلى حدوده السابقة (دولة لبنان الكبير)^(١).

(١) مجلة الأفكار، السنة ١٣، عدد ٦٩٧، ١٨ كانون الأول ١٩٩٥ (بمناسبة توقيع كتاب للأستاذ فريد سلمان (قيام الذاكرة) في قاعة مجلس الفكر).

والواقع أن محاولة الأستاذ سعيد عقل إلقاء الضوء على الحقيقة التاريخية لأعمال عارف النعماني سببت استغرابًا واستهجانًا وتفكُّها لدى الأستاذ فريد سلمان الذي رد على الأستاذ سعيد عقل في مجلة الأفكار، عدد ٧٠١، تاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٩٦، بكثير من الاستخفاف بمدخلة الأستاذ عقل، لأن كلامه لا يصب في فلسفة وجود لبنان، وأي لبنان؟ لبنان حاجة الفكر الماروني =

هذا الحوار بين الأمير فيصل وعارف النعماني يدعونا لربط الماضي بالحاضر كما أشار الأستاذ سعيد عقل، وبخاصة من منطلق العلاقات اللبنانية - السورية التي ما زالت مادة مفتوحة للنقاش والحوار واللقاء حتى يومنا هذا. لقد سجل عارف النعماني موقفًا فريدًا في تاريخ لبنان وسوريا الحديث، وهو موقف أكبر من أن يُنسى أو يطمس لأنه حقيقة من حقائق تاريخ مسلمي لبنان.

والواقع أن تلك الطروحات السياسية التي تقدّم بها عارف النعماني تدل على سياسة الاعتدال والبعد عن التهور، ولو كان مفتقدًا للحنكة السياسية لأشار على الأمير بضرورة العصيان والتمرد وإشعال الجبهة البيروتية ضد الفرنسيين، كما حدث في الجنوب والبقاع، ولكنه أثر التريث حتى تنجلي المواقف السياسية في لبنان وبقية الدول العربية، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

وصحّ ما توقّعه عارف النعماني، من خلال مسارعة فرنسا وإنكلترا لعقد اتفاقية سايكس-بيكو، والاستيلاء على لبنان وفلسطين، منعًا لحدوث أي مفاجآت قبيل عقد مؤتمر الصلح بين الحلفاء ودول المحور.

= الدرزي. لبنان ورغم التناقض التام بين الطائفتين والدم، يبقى حلم كينونة لبنان، هذه الكينونة التي تضيع بين الستة آلاف أو المئة ألف سنة لعمر الكيان.

وتبقى إرادة الاستقلال والعيش الحر للشثاني في خلق لبنان (الماروني - الدرزي) فقط. وأي خلق لاستقلال لبنان في ظل نظام المتصرفية مثلاً، والمتصرف هذا يتبع السلطان. وفجأة يلغي جمال باشا هذا النظام! أهذه إرادة الاستقلال؟ أن يكون لبنان لا يعني إلا الجبل فقط؟ أهذه هي البدايات؟ وماذا يعني أن يسمح مفهوم التطور بوجود فئات! وأي فئات؟ السريان والمسلمين؟ وهل التطور، أو حقيقة تشكّل الكيان اللبناني هو الذي أوجد تلك الفئات المتجدرة عبر الأجيال في لبنان والتي سلخت قصرًا عن الجبل، ووجودها وتعايشها كان منسجمًا دينيًا مع الدولة الحاكمة (تركيا) لذا لم تدخل في صراع مع الحكام؟ ولكن أمام الاستبداد وخنق الحريات يطالب المسلم البيروتي عارف النعماني بالاستقلال، ويسجن ويُنفي خارج وطنه، ويدفع الدم والمال جنبًا إلى جنب مع المسيحيين اللبنانيين مثل: أمين الريحاني ونجيب عازوري واليازجيين والبستانيّين، وأنطوان سعادته وسواهم، والدروز مثل: الأمير أمين أرسلان وعادل أرسلان وشكيب أرسلان، فتنمو الذات اللبنانية، وتنفس من الفكر الليبرالي أزهير القومية العربية.

الفصل الرابع

موقفه من معاهدة سايكس-بيكو

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، بقي لبنان مقسماً بين مجلس إدارة جبل لبنان المطالب بالاستقلال تحت الوصاية الفرنسية، وبين ولاية بيروت والأقضية الأربعة والذين يعملون للاستقلال والوحدة مع سوريا. وفيما بعد سقط الحكم العربي في لبنان وظهرت اتفاقية سايكس-بيكو السرية والتي عقدت سنة ١٩١٦ بين فرنسا وإنكلترا لاقتسام البلاد العربية فيما بينهما. ولم تعارض إنكلترا انتداب فرنسا على لبنان، شرط إقناع أبنائه بذلك، على أن تكتفي إنكلترا مقابل ذلك بالانتداب على فلسطين.

وكان همّ فرنسا وإنكلترا استبعاد العرب، وخصوصاً الأمير فيصل، عن مؤتمر الصلح. حتى لا يكون للعرب أيّ موقف معارض لاتفاقية سايكس-بيكو. ولكن لورنس أقنع حكومته بضرورة توجيه دعوة للشريف حسين لحضور مؤتمر الصلح^(١)، وأصرّ الرئيس الأميركي ويلسون على فصل لبنان وسوريا عن المقررات الخاصة بالدولة العثمانية، وضرورة استفتاء السكان، وانتخاب الوصي عليهم، ليُصار إلى تمثيلهم في مؤتمر الصلح^(٢)، وبناء عليه أفسح المجال للأمير فيصل لتمثيل الدول العربية بما فيها لبنان.

هذا الموقف الأميركي عملت فرنسا على تطويقه في لبنان الواقع تحت سيطرتها. فأوعزت إلى مجلس إدارة جبل لبنان بتفويض داود عمون رئاسة الوفد اللبناني، إمعاناً في تأكيد فصل لبنان عن سوريا، لأن فرنسا تجد في مجلس إدارة جبل لبنان، وبخاصة البطريك الياس الحويك، مناصراً وليس معارضاً للوصاية الفرنسية على لبنان. وتلخصت مطالب داود عمون إلى المؤتمر بما يلي: توسيع

(١) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٢١.

(٢) A. Williams: Britain and France in the Middle East and North Africa 1914-1967, P. 17.

نطاق جبل لبنان، والمطالبة بالاستقلال، وإنشاء مجلس نيابي، ومساعدة فرنسا في نشر العلوم، والانفصال عن سوريا، والمطالبة بالحماية الفرنسية^(١).

هذه المطالب أثارت القوى الوطنية في ولاية بيروت والأقضية الأربعة. وبخاصة بعد افتتاح أمر اتفاقية سايكس-بيكو التي تحول دون مشاركة العرب في المؤتمر.

أثناء ذلك، كانت فرنسا تسعى من خلال بيكو لإقناع اللبنانيين في بيروت والأقضية الأربعة بالوصاية الفرنسية. فبدأ بيكو اتصاله بالشخصيات البيروتية المعارضة لسياسة فرنسا في لبنان.

واجتمع بيكو بزعماء بيروت في منزل بدر دمشقية لتبادل الآراء في وضع لبنان السياسي. وحضر الاجتماع جمهور كبير من وجهاء ومفكري بيروت. وبعد تناول الشاي، انتصب بيكو خطيباً، فأشاد بصدقة فرنسا للبنان وخدماتها منذ سنة ١٨٦٠، وقال إنها ستضاعف الخدمات من أجل الوصول بلبنان إلى درجة رفيعة سياسياً وثقافياً واقتصادياً، ليكون بعدها أهلاً للاستقلال.

وصار يتنقل بين المدعوين ويجاذبهم الحديث، حتى وصل إلى الحلقة التي يجلس فيها عارف النعماني، فبادره فوراً وعلى مسمع من الجميع: "وأنت ما رأيك يا مسيو نعماني؟" فوقف عارف النعماني مجيباً: "إن خطابك لا جدل فيه، وإن فرنسا ساعدتنا كثيراً، نحن العرب، للتخلص من نير الأتراك، لننعم باستقلالنا. وكانت جمعياتنا السرية والعلنية، تجتمع دائماً في باريس، المدينة التي علّمتنا ثورتها قيمة الحرية والاستقلال، ولكن جهادنا وتضحياتنا وتعليق رجالنا على أعواد المشانق، ودماء شبابنا الذين خاضوا معكم الحرب جنباً إلى جنب، وما مُنيت به بلادنا من خراب وجوع وعذاب، وما نزل بأهلها من اضطهاد... أتظن أن هذا البذل كان فقط من أجل إبدال كرباج بكرباج، وعبودية بعبودية، ونير بنير؟ لقد أخطأت الفهم يا مسيو بيكو"^(٢).

وغادر عارف النعماني القاعة قبل أن يسمع الجواب.

(١) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ٢، ص ٨٧٣ - ٨٧٨.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).

هذا الرأي الجريء جداً لم يكن خاصاً بعارف النعماني فقط، إنما كان يمثل رد أغلبية القوى الوطنية في بيروت والأقضية الأربعة أيضاً الراضين للوصاية الفرنسية. إذ هل يعقل أن يتخلص الوطنيون من ظلم الأتراك، ليرحبوا بظلم فرنسا فيما بعد؟

وطبعاً هذا الموقف لعارف النعماني كان يعني بداية مقاطعته لفرنسا.

وتوجه عارف النعماني إلى دمشق، فاتصل بالأمير فيصل ليعرب له عن مخاوفه تجاه ما يجري في جبل لبنان، فأعلمه الأمير: "بأنه سيذهب إلى باريس ليُسمع الدنيا صوت عدالة قضيتنا"^(١)، والتي تلخصت بما يلي: استقلال الدول العربية، وتوحيد العرب في أمة واحدة، والمشورة مع الدول الأجنبية، يدفع الأمير ثمنها نقداً بدل أن يضحي بالحرية التي حصل عليها بقوة السلاح^(٢).

إذن كان لبنان في مرحلة ما بعد الحرب سنة ١٩١٨، واقعاً تحت الاحتلال الفرنسي. وقد تمكن عارف النعماني، والزعماء المسلمون والمسيحيون، بالرغم من اتفاقية سايكس-بيكو، ومحاولة إبعاد لبنان عن طاولة المفاوضات في مؤتمر الصلح من إيصال أمانيتهم بالاستقلال بواسطة الأمير فيصل الذي اعتبروه الممثل الوحيد لقضيتهم في هذا المؤتمر متجاوزين بهذا القرار الخطير إدارة جبل لبنان ومن يمثلها من زعماء الموارد ومن يدعمها من الفرنسيين الذين كانوا يحاولون عزل لبنان عن محيطه العربي ووضعه تحت وصايتهم.

اتفاقية فيصل-كليمنصو

وصل الوفدان العربي واللبناني إلى باريس سنة ١٩١٩، الأول برئاسة الأمير فيصل، والثاني برئاسة داوود عمون وشكري غانم (رئيس الجمعية السورية اللبنانية) وهوارد بلس (رئيس الجامعة السورية الإنجيلية). ولكن الرئيس كليمنصو رفض مقابلة الوفد العربي، إمعاناً منه في عزل الأمير فيصل المعارض لسياسة فرنسا في الشرق^(٣)، وتسليط الأضواء على حلفائها أعضاء وفد إدارة جبل لبنان،

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).

(٢) زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ٣٠٢ - ٣٠٦.

(٣) A. Williams: Britain and France in the Middle East, P. 17.

ولسان حالهم شكري غانم الذي قام بضرب المفهوم القومي الوحدوي العربي من خلال طرح القضية الإقليمية بين الدول العربية (أهل الحجاز - أهل الشام)، وتركيزه على التفاوت الحضاري الاجتماعي والفكري بين الحجازيين والشاميين (بدو-حضر)، ورفضه تمثيل الأمير فيصل للبنان، وإصراره على الوصاية الفرنسية^(١).

مقابل ذلك اصطدم الأمير فيصل بتناقض مواقف وفد إدارة جبل لبنان وفرنسا وإنكلترا، إضافة إلى ظهور مطامع اليهود في فلسطين^(٢)، فبات في وضع صعب ساعده على تجاوزه تحرك الدبلوماسية الأميركية، وذلك باجتماع تمهيدي بين (بلس-فيصل) وقد أسفر اللقاء عن إرسال لجنة كينغ-كراين لدراسة مطالب الشعوب العربية^(٣).

هذا التحرك الأميركي، ربما كان القصد منه دفع عجلة المفاوضات بانتظار المستجدات، وإظهار أميركا بمظهر الحليف للعرب، أمام مراوغة فرنسا وإنكلترا، رغم أنها لا تختلف عنهما، والأرجح أن لقاء بلس-فيصل كان يخفي وراءه التفافاً أميركياً-فرنسياً-إنكليزياً يهدف إلى تطويق معارضة الأمير فيصل وإجباره على الرضوخ لمطالب الحلفاء. وخاصة أن الموقف السياسي للبنان بات منقسماً بين مؤيد ومعارض للأمير، مما يضعف موقف الأمير، ويعطي فرنسا فرصة فرض شروطها عليه.

ونجحت المساعي الأميركية، «وتم اللقاء بين كليمنصو و فيصل سنة ١٩١٩، وفرضت فرنسا شروطها بإحلال القوات الفرنسية في دمشق وحلب بعد انسحاب القوات الإنكليزية منها، والتدخل الإداري الفرنسي المباشر في سوريا، وأن يكون التمثيل الخارجي لسوريا من خلال فرنسا، وأن يعترف فيصل باستقلال لبنان إنما تحت الوصاية الفرنسية وبالحدود التي سيعلمها مؤتمر الصلح. بالمقابل تعترف فرنسا باستقلال سوريا المشروط بمدى حاجة سوريا وتعاونها مع فرنسا وتعترف

(١) زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) S. H. Longrigg: Syria and Lebanon under French Mandate, p. 94.

(٣) S. N. Fischer: The Middle East - A History, p. 378.

فرنسا باللغة العربية لغة رسمية مقابل أن تكون اللغة الفرنسية إجبارية^(١).

هذه الاتفاقية كان يشوبها الكثير من الغموض، لأنها عبارة عن مجموعة من القضايا التي تحتاج إلى الكثير من المرونة والتعليل ليتقبلها الرأي العام العربي. ولعلها أشبه ما تكون بالقنبلة الموقوتة التي سترتب عليها الكثير من الانفجارات والثورات داخل سوريا ولبنان بالتحديد. كما أنها تفتح تحالفاً جديداً بين فيصل وفرنسا، علماً بأن الشريف حسين وابنه عبد الله ارتبطا بتعاون وثيق مع إنكلترا، أما الأمير فيصل فإن علاقته بإنكلترا بقيت مذبذبة، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وقضية المراوغة الإنكليزية - الفرنسية في قبوله ممثلاً للدول العربية في مؤتمر الصلح. وربما أراد الأمير فيصل انتظار معطيات أفضل من جانب فرنسا، ريثما تتضح الأمور مستقبلاً.

ولكن ترى هل تغيير التحالفات وقف على الحاكم وحده، أم أن للقوى الوطنية في لبنان وسوريا رأياً آخر؟ ويتوقف على الجواب تقرير نجاح أو فشل اتفاقية فيصل-كليمنصو. فبعد عودة الأمير فيصل من مؤتمر الصلح في ٣٠ نيسان ١٩١٩، استقبل بالترحاب من جانب الفرنسيين، وبالتظاهرات من جانب مسيحيي جبل لبنان بسبب إخلال فرنسا بوعودها لهم في الوصاية والانسلاخ عن سوريا. فعبر عن ذلك بشارة الخوري وميشال زكور بالهتافات المعادية لسوريا، وأظهر البطريك الياس الحويك تدمره من تغير موقف فرنسا بقوله: "إنه يفضل الموت في ظل صخور لبنان على الانضمام إلى سوريا"^(٢). ولكن يظهر أن فرنسا استطاعت الحصول من الأمير على كل مطامعها في لبنان وسوريا، فتخلت عن مسيحيي جبل لبنان. والواقع أن الأوضاع في سوريا، لم تكن أفضل من الأوضاع في لبنان، فلدى وصول الأمير فيصل إلى دمشق، استقبل بمعارضة شديدة من الوطنيين الذين اتفقوا على مقاتلة فرنسا، وتشكيل قوات عسكرية معارضة للتحرش بالفرنسيين^(٣).

(١) خالد العظم: مذكرات خالد العظم، ج ١، ص ١٠١ - ١٠٦. أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٢٦. بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ٩٥. يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٢) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ٩٥. محمد جميل بيهم: سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢، ص ٨. أمين الريحاني: ملوك العرب، ج ٢، ص ٣٣٤.

(٣) خالد العظم: مذكرات خالد العظم، ج ١، ص ١٠٦. زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ١٥٣.

وبحسب اتفاق كليمنصو-فيصل في باريس، بدأ انسحاب القوات الإنكليزية من رياق وبعليك وشتورا، وأبلغ الجنرال غورو الأمير فيصلاً أن القوات الفرنسية ستحل هناك في إطار تدبير عسكري فقط، والحكم الفعلي سيكون للأمير فيصل. ولكن رغم ذلك تدفقت القوات الفرنسية بأعداد كبيرة من البحر (مرفأ بيروت) بحجة التبديل، مما أدى إلى إثارة الشكوك بنوايا فرنسا. فانفجر الوضع في بعليك ودارت المعارك هناك مع الفرنسيين. وما لبثت الثورة أن انتشرت في مزرعة الشوف والحولة وقرى هونين وكفركلا والطيبة، وامتدت إلى سوريا في تل كلخ (ثورة الدنادشة) واللاذقية (ثورة صالح العلي) وإلى أنطاكية وكيليكيا^(١).

وبسبب هذه الأوضاع، بدأ الأمير فيصل في ١٥ أيار ١٩١٩، بالتراجع عن اتفاقية كليمنصو-فيصل، فاستعاد ثقة السوريين، وأتت الوفود اللبنانية لتقدم كل معاني الطاعة والفداء والتأكيد على الوحدة مع سوريا معبرين عن ذلك بالخطب. ولكن الأمير حاول توضيح سياسته تجاه فرنسا داعياً إلى عدم التشديد في العداء لها لأن هناك مصالح وروابط مع الحلفاء لا يمكن التجرد منها، ولا بد من الموافقة على اتفاقية كليمنصو-فيصل لأن عكس ذلك سيجر إلى مواجهه عسكرية، ودعا اللبنانيين والسوريين إلى الصبر لأن فرنسا تحترم حقوق الشعوب، ولكن القوى الوطنية رفضت طروحاته مفضلة القوة والمجاهه^(٢).

وأوضح الأمير فيصل للوفد اللبناني كيفية التعاطي مع المسألة اللبنانية بقوله: "إنه يجب أن يُضم إلى لبنان القسم اللازم الوافي لحياة أهاليه الزراعية فيستفيدون من توسيع أراضيهم، كما تستفيد البلاد من ذكائهم ونشاطهم، وأن يكون لبنان مستقلاً داخلياً وإدارياً، ويلزم أن يبقى ما يلحق به مستقلاً وممتازاً مع المحافظة على الارتباط بالوحدة السورية، ولكن الانضمام يكون اختيارياً. والأمير مستعد أن يعطي لكلامه ضماناً خطية، مع التأكيد أن اللبنانيين إخوة للسوريين، وهم شعب واحد، لا يفصل بينهم فاصل طبيعي أو مادّي، ولا فرق بين لبناني ودمشقي

- (١) بشاره الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ٩٥. محمد جميل بيهم: سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢، ص ٨. أمين الريحاني: ملوك العرب، ج ٢، ص ٣٣٤.
(٢) تألف الوفد اللبناني من السادة: سعيد باشا سليمان وإبراهيم الخطيب ورضا الصلح وسعيد الأيوبي ومصطفى العماد، وسواهم.

أو بين مسلم ومسيحي ودرزي^(١).

هذا الطرح للقضية اللبنانية من جانب الأمير فيصل يعيدنا إلى ما قاله عارف النعماني للأمير فيصل في دمشق قبل أيام من إعلان ثورة الشريف حسين على الأتراك سنة ١٩١٦^(٢) محاولاً إقناع الأمير بدقة الوضع اللبناني وضرورة إعادة ما سُلب من لبنان، والحرص على استقلاله مع الارتباط الاقتصادي بسوريا. وبناءً عليه يتبين لنا تأثير الأمير فيصل بالثوابت العقائدية السياسية لعارف النعماني.

تجاه هذه المواقف الراضية لحكم فرنسا، اضطر الأمير فيصل في ١٧ أيار ١٩١٩ إلى إجراء عدة اتصالات مع المسؤولين الفرنسيين، طلب فيها الأمير إلغاء اتفاقية سايكس-بيكو، وسحب الجنود الفرنسيين من لبنان وسوريا، مقابل اعتراف الأمير فيصل بالمستشارين الفرنسيين العسكريين والإداريين والمهندسين والبعثات التربوية. وطلب من غورو إصدار عفو عام عن المعتقلين من ثوار بعليك والحولة واللاذقية وتل كلخ والشوف، وتأليف حكومة وطنية في بيروت. ولكن غورو رفض بعد أن سقطت مصداقية الأمير فيصل في القضاء على هذه الثورات^(٣).

واستغل مجلس إدارة جبل لبنان فشل الأمير فيصل في إقناع السوريين باتفاقية كليمنصو-فيصل، فنادى في ٢٠ أيار ١٩١٩ باستقلال لبنان تحت الوصاية الفرنسية^(٤).

موقفه من لجنة كينغ-كراين

وسط هذه الأجواء السياسية المتأزمة في المنطقة بين فيصل والقوى الوطنية وصلت لجنة كينغ-كراين لإجراء استفتاء عام في البلاد العربية حول نوعية الحكم، وكان قد اتفق على تشكيل هذه اللجنة أثناء تمثيل فيصل للعرب في مؤتمر الصلح بباريس سنة ١٩١٩ بسبب عدم توصّل أعضاء المؤتمر إلى نتائج نهائية بالنسبة

- (١) ساطع الحصري: يوم ميلون، ص ٢٠٩ - ٢١٠.
خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني وصداه في الوطن العربي، ص ١٥٩.
(٢) راجع حوار فيصل - النعماني، ص ٤١.
(٣) أنيس النصولي: عشق وشاهدت، ص ٤٠ - ٤١. جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص ٤٢٠.
خالد العظم: مذكرات خالد العظم، ج ١، ص ١٠٦.
(٤) بشاره الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ٩٦.

لمصير البلاد السورية، لذا اقترح فيصل-بلس على الأعضاء إرسال لجنة تحقيق حيادية تمثل الحلفاء، لمعرفة المطالب السياسية للعرب^(١)، فشكّلت لجنة كينغ-كراين، والتي وصلت إلى فلسطين في ١٠ حزيران ١٩١٩. وكانت نتيجة الاستفتاء الرفض التام لإنشاء وطن قومي يهودي.

وانتقلت اللجنة إلى دمشق، وتبيّن من نتيجة الاستفتاء رفض الانتداب الفرنسي والمطالبة باستقلال سوريا الطبيعية على أساس إنشاء دولة ملكية دستورية، ملكها فيصل، تحكم العرب على قاعدة اللامركزية.

وقامت اللجنة بإجراء اتصالات مع بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبكري^(٢). وشكّلت في بيروت لجنة قوامها السادة: سامح الفاخوري وأحمد مختار بيّهم وسليم علي سلام ونقيب الأشراف عبد الكريم أبو النصر وعارف النعماني، وطالب الجميع بالاستقلال ورفض الانتداب، إلا النقيب، فإنه أصرّ على المخالفة^(٣).

ولم تقتصر معارضة الانتداب على رجال بيروت، فلقد قامت في بيروت السيدة ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد النسائي اللبناني بتقديم مذكرة إلى لجنة كينغ-كراين طالبت فيها أيضًا بالاستقلال والحرية والوحدة^(٤).

ولكن اتضح فيما بعد لعارف النعماني أن لجنة كينغ-كراين كانت خديعة كبرى، الغاية منها كسب الوقت وامتصاص النقمة وتهذئة الأوضاع، وأن أميركا وإنكلترا لا تختلفان عن فرنسا الراغبة في قهر الشعوب واستعمارها.

ولقد حقق الحلفاء ما أرادوه من إرسال اللجنة التي شكّلت اعترافًا ضمنيًا من العرب بمبدأ الوصاية الأميركية أو الإنكليزية أو الفرنسية على البلاد العربية، وأظهرت للعلن نوايا الحلفاء بطرح القضية الصهيونية، وقضية فصل لبنان عن سوريا، وحددت زمن الوصاية، وضمنت حرية العبادة وحرية الكتابة، وعدم تجزئة سوريا خوفًا من التنافر، وبأن فيصلاً ملك.

(١) زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) S.N. Fisher: The Middle East A History, p. 378.

(٣) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).

(٤) مقابلة مع د. زاهية قدورة، ٢٥ أيار ١٩٩٦.

إذن الاستفتاء ركّز على استقلال الدول العربية المشروط بوصاية أميركية أو فرنسية أو إنكليزية، مع ضرورة الارتباط بالأمير فيصل. لقد كرّست لجنة كينغ-كراين مبدأ الوصاية أو الانتداب، والمؤسف أن العرب قبلوا بالاستفتاء، وشكّلوا اللجان لهذا الأمر، ولم يكونوا يعلمون بأنهم يسعون، ويأرادتهم، للانتداب.

حوار الجنرال غورو-النعماني حول استقلال لبنان

وهكذا نجد أن العرب ما كادوا يتخلصون من الأتراك حتى وقعوا فريسة المطامع الاستعمارية. فمن اتفاقية سايكس-بيكو إلى اتفاقية كليمنصو-فيصل إلى لجنة كينغ-كراين، ضمن مرحلة زمنية امتدت من أواخر ١٩١٨ إلى أوائل حزيران ١٩١٩، عمل العرب خلالها من أجل الاستقلال، وعملت الدول الأجنبية من أجل الوصاية، يساندها في ذلك بعض مسيحيي لبنان.

مقابل ذلك بدأت القوى الوطنية في لبنان من مسيحيين ومسلمين تحركها، وذلك ما بين ١٥ حزيران و٢٥ تشرين الأول ١٩١٩، من أجل مقاومة مخططات فرنسا التي ظهرت في مؤتمر الصلح بعد لقاء كليمنصو-فيصل ومحادثات عمون-بلس-غانم. فبدأ التحرك السياسي الوطني من خلال الاجتماعات الممهدة لعقد مؤتمر عربي عام، وبالتالي إلغاء معاهدة كليمنصو-فيصل ثم تتويج الملك فيصل. فاجتمع أهل الساحل (بيروت وطرابلس وصيدا وصور ومرجعيون) في ١٥ حزيران ١٩١٩ يمثلهم السادة: توفيق البيسار ورشيد طليع ورياض الصلح وعفيف الصلح، وأهل الإقليم يمثلهم السادة: إبراهيم الخطيب، وتامر حمادة عن الهرمل، ورشيد نفاع عن المتن، وتوفيق مفرّج عن الكورة، ومحمود فاعور عن القنيطرة، وممثلو الأقضية الأربعة (حاصبيا وراشيا وبعبك والمعلقة) وهم السادة: سعيد حيدر ومحمد علي حيدر ومراد غلمية. أما اجتماعات بيروت، فتمت في قصر عارف النعماني في منطقة حوض الولاية بحضور السادة: سليم علي سلام ورضا الصلح ومحمد بيّهم وأمين بيّهم وفريد كساب ومحمد اللبايدي وجرجس حرفوش ومحمد الفاخوري وجان التويني^(١).

وتجدد اجتماع بيروت في ٢ تموز ١٩١٩ في منزل سليم الطيارة مستشار

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٨).

رئيس دار الاعتماد العربي السيد جميل الألشي، وبالاقتراع السري تم اختيار عشرة مندوبين للمؤتمر المزمع عقده وأربعة عشر عن المناطق. وانضم إليهم الشيخ رشيد رضا وفارس الخوري ويوسف أسطفان. وكانت نتيجة هذه الاجتماعات عقد المؤتمر السوري العام في دمشق أوائل تموز، وأصدر أول مقرراته، وهو التأكيد على استقلال البلاد السورية^(١).

هذه التحركات والاجتماعات للقوى الوطنية اللبنانية الموالية لسوريا، أقلت مجلس إدارة جبل لبنان، الذي اجتمع في ٢٢ تموز ١٩١٩ بحضور أربع وعشرين شخصية، وطالب باستقلال لبنان وضم بيروت تحت الوصاية الفرنسية. ولقد قامت السلطات الفرنسية بتسهيل سفر البطريرك الياس الحويك (ممثل مجلس إدارة جبل لبنان) إلى فرنسا للمطالبة بذلك في ٥ آب ١٩١٩^(٢). وعملت فرنسا على التدخل في الهيكلية الإدارية والقضائية للبنان، فعزلت المدراء والقضاة وعينت أشخاصًا مواليين لسياستها دون استشارة مجلس إدارة جبل لبنان ثم انتقلت إلى تطويع القوى الوطنية المعارضة لحماية فرنسا في لبنان^(٣).

فبدأ غورو اتصالاته مع القوى الوطنية المعارضة، بحجة تأليف مجلس استشاري خاص به، يسترشده كلما دعت الحاجة. فاتصل الجنرال غورو بأحمد نامي بك، طالبًا منه إقناع عارف النعماني بقبول عضوية المجلس الاستشاري الذي سيتألف من السادة: نخلة التويني، وعبد الله بيهم، والداماد أحمد نامي بك. هذا الطلب أثار عجب عارف النعماني بقوله للداماد: "كيف طلب غورو ذلك وهو يعلم أنني ضد الانتداب الفرنسي، وهو يعلم عقيدتي وميولي"^(٤). ورغم معرفة الجنرال غورو بذلك فلقد اعتبر وجود عارف النعماني في المجلس الاستشاري أمرًا ضروريًا.

واجتمع الجنرال غورو بعارف النعماني^(٥) في مقره بقصر بسترس، حيث

(١) محمد جميل بيهم: سورية ولبنان (١٩١٨ - ١٩٢٢)، ص ١٠٩.

(٢) يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج ٢، ص ٨٨٨. جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص ٥٩٦ - ٥٩٩.

(٣) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ٢٧٤ - ٢٧٧.

(٤) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٨).

(٥) يذكر النعماني في مذكراته أن الجنرال استقبله وأخذه بيده إلى غرفته الخاصة حيث يوجد طاولة حولها مقعدان، عليها إبريق شاي. ولقد تقدم الجنرال وصّب الشاي وقدمه له واقفًا.

أطلعته على رغبته بالاجتماع به، رغم معرفته بعقيدته السياسية وما نقله بيكو عنه^(١). وتمنى الجنرال أن لا تشكل هذه العقيدة مانعًا لعارف النعماني من الانضمام إلى المجلس الاستشاري، فردّ عارف النعماني قائلاً: "ليس هناك غموض ولا إبهام في عقيدتي، إنها تنحصر بالاستقلال والوحدة. وقد كان ذلك سهل المنال عندما دخلت الأمة العربية الحرب إلى جانبكم، وأعلنت ثورتها على الأتراك، بناء على وعدكم وتصريحاتكم الشهيرة المتكررة بالاستقلال والحرية، وارتباط بريطانيا بالكتب المتبادلة بين الشريف حسين - مكماهون، ولكن بريطانيا وحكومتكم نكثت بالعهد. ولم تحفظوا أيّ وعد إلا وعدكم لليهود بفلسطين، فإذا لم ترتدوا عنه، وتحققوا ما وعدتمونا به خسرتم صداقتنا".

أثناء ذلك كان غورو يتسم، وعند عبارة "خسرتم صداقتنا" قطب حاجبيه، وقاطعني: "أرجو التوضيح". أجبت: "بعد احتلال فرنسا للبنان، واحتلال إنكلترا لفلسطين والعراق، إذا لم يكن للأمة العربية أن تحقق الوحدة، فليقم اتحاد فيدرالي عربي يضم العرب ضمن استقلالهم الذاتي، على أن يكون لبنان مستقلاً داخلياً. أي أن يكون إمارة مستقلة حيادية، يرتبط بالعرب اقتصادياً ومالياً، وليضاف إليه البقاع. وتكون مدينة بيروت مرفأً حرّاً. هذا ما أراه الآن وسأسعى لتحقيقه"^(٢).

وأضاف عارف النعماني: "إن تعلق أهل البلاد بفرنسا إنما مرده بقية من أمل بما سمعوه من عطف الحلفاء على قضاياهم الاستقلالية. ولكن السياسة العليا قضت على تلك الآمال"^(٣).

أظهر الجنرال غورو احترامه لآراء عارف النعماني السياسية وأفكاره، مشدداً على ضرورة انضمامه إلى المجلس كمستشار خاص له، وليس للسياسة العليا، وتلافياً لأغلاط قد يقع فيها قائلاً له: "فادخل خدمة لبلادك".

وبالفعل صدر المرسوم بتشكيل المجلس الاستشاري، والذي لم يعقد سوى مرتين. ولكن كثر اتصال الجنرال غورو بعارف النعماني، حيث كان يقابله يومياً، وربما أكثر من مرة في اليوم. وأحياناً ليلاً، حسب الظروف.

(١) راجع: موقف عارف النعماني من اتفاقية سايكس - بيكو، ص ٣٩.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٨).

(٣) المصدر نفسه.

إذن كان هدف فرنسا من وراء إدخال عارف النعماني في عضوية المجلس الاستشاري تطويق القوى الوطنية المعارضة لسياستها داخليًا وخارجيًا. فلقد وجد الجنرال غورو أن عارف النعماني، يجمع بين الزعامة الداخلية في لبنان والمكانة الخارجية في سوريا. فاستغل ذلك بتعيينه مستشارًا له لكشف المشاكل مع المعارضة في لبنان وحلّها، ومعرفة كل التحركات في سوريا. "ولكن غاب عن فكر الجنرال غورو" كما يقول عارف النعماني: "أني لأمتي ولأميري. وأني صديق للأمير ولست جاسوسًا عليه"^(١).

أضف إلى ذلك أن لقاء غورو-النعماني يحدد الثوابت العقائدية للفكر السياسي لعارف النعماني بالنسبة لمعالجة قضية استقلال لبنان، إذ إن لقاء فيصل-النعماني سنة ١٩١٦^(٢) لم يكن مختلفًا عن لقاء غورو-النعماني سنة ١٩١٩. فأولًا وأخيرًا كان محور اللقاءين قضية استقلال لبنان وضم ما سلخ عنه، أما العلاقات مع الدول العربية أو مع سوريا فلا تتعدى العلاقة الاقتصادية.

ونلاحظ أن كلام عارف النعماني وجد صداه لدى الجنرال غورو الذي تبني فكرة دولة لبنان الكبير. علمًا أن البطريك الحويّك طالب بدولة لبنان الكبير. ولكن مع الاستقلال والوصاية الفرنسية والعلاقات الاقتصادية مع فرنسا... من هنا تفرّد عارف النعماني بطرح دولة لبنان الكبير والاستقلال، دون وصاية، لا عربية ولا أجنبية.

إن اجتماعات القوى الوطنية الرافضة للانتداب الفرنسي على لبنان إضافة إلى تحرك إدارة جبل لبنان وسفر الياس الحويّك إلى باريس للمطالبة بالحماية الفرنسية، واتصال الجنرال غورو بالقوى الوطنية، وبالتحديد بعارف النعماني، من أجل السيطرة على الموقف في بيروت، كل ذلك أدى إلى بلورة الأوضاع السياسية على الساحة اللبنانية. فقام الأمير فيصل في ٢ تشرين الثاني ١٩١٩ بإرسال رسالة إلى كليمنصو أكد فيها محبته لفرنسا (الحرية والعدل والمساواة) ولكن السياسة الفرنسية في الواقع تقوم على التفريق بين أبناء الأمة العربية (أهل الحجاز- أهل العراق- أهل الشام) بل وأبناء فلسطين وسوريا والساحل السوري. ولم تكتف

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٨).

(٢) راجع: حوار فيصل النعماني، ص ٤١.

فرنسا بذلك بل قسمت لبنان على أساس طائفي ومذهبي (مسلم-مسيحي)^(١). ورغم ذلك بقي كليمنصو على موقفه السلبي، لأن شروط فرنسا في اتفاقية كليمنصو-فيصل لم تتغير حتى انعقاد مؤتمر الصلح.

أثناء ذلك كان مجلس إدارة جبل لبنان يتحرك بإيجابية فعالة من خلال البطريك إلياس الحويّك الذي أرسل مذكرة إلى مؤتمر الصلح في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٩، جدد فيها المطالبة باستقلال لبنان تحت الوصاية الفرنسية، وطالب بتعويضات من تركيا وألمانيا عن خسائر لبنان في الحرب العالمية الأولى، وشدد على ضرورة مراعاة فرنسا للتفاوت الفكري والحضاري بين لبنان والعرب، مما يؤدي إلى منع إقامة أي اتحاد معهم، وألح على تكريس التعاون الاقتصادي مع فرنسا^(٢). ولقد مثل ردّ كليمنصو على مجلس إدارة جبل لبنان حجر الزاوية لإنشاء الكيان اللبناني^(٣)، فلقد أكد على العلاقات الاقتصادية مع لبنان، وأن يحتفظ للجبل بالأراضي السهلية والمرافئ البحرية، وأن مؤتمر الصلح سيحقق أمانًا لمجلس إدارة جبل لبنان بذلك^(٤).

أعماله في المؤتمر السوري

ولكن ذلك كله لم يحل دون تضافر جهود القوى الوطنية في لبنان وسوريا وفلسطين لتهيئة جبهة من العرب الرافضين لواقع الهيمنة الفرنسية والمطالبين بالاستقلال، فقاموا بالدعوة لعقد المؤتمر السوري العام في ٨ آذار ١٩٢٠ في دمشق بحضور ٨٥ مندوبًا عن سوريا ولبنان، وتمحورت قرارات المؤتمر حول المسائل التالية:

- استقلال سوريا الكبرى (سوريا وفلسطين ولبنان).
- تتويج الأمير فيصل ملكًا على البلاد، وقيام الدولة السورية، ونشر الدستور.
- إنشاء مجلس للشيوخ ومجلس للنواب.

(١) خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط، ص ٢٨١ - ٢٨٦.

(٢) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ٩٦. يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج ٢، ص ٨٨٨. محمد جميل بيهم: سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢، ص ٩٠.

(٣) عبد العزيز نوار: وثائق أساسية من تاريخ لبنان ١٥١٧ - ١٩٢٠، ص ٥٢٥.

(٤) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ٢٨٠.

- إلغاء اتفاقية كليمنصو-فيصل.

- حفظ حقوق الأقليات في الانضمام إلى سوريا ولبنان، والدروز يتم إعطاؤهم الاستقلال ضمن الدولة السورية، أما بيروت والإسكندرونة فمدن حرة.

- رفض مزاعم الصهيونية في فلسطين.

ولقد برر المؤتمرون ذلك بالوعود الاستقلالية التي أطلقها الحلفاء ومناداة الرئيس الأميركي ويلسون باستنكار المعاهدات السرية وتحرير الشعوب، وأكبر مثال على ذلك الاستفتاء الذي قامت به لجنة كينغ-كراين في تكريس حق العرب في تقرير مصيرهم. واتفق المؤتمرون على تشكيل حكومة استقلالية برئاسة رضا الركابي^(١).

واضح من المقررات الحرص على استقلال سوريا الكبرى ووحدتها تحت حكم الملك فيصل دون أي استثناء. وأعني بذلك أن لبنان حكمًا ضمن سوريا الكبرى. وحكومة رضا الركابي ستعمل ماديًا ومعنويًا من أجل تنفيذ ذلك.

هذه المقررات اطلع عليها عارف النعماني قبل أربع ساعات من وصول الوفد اللبناني وانعقاد المؤتمر. فوقع في حيرة من أمره بالنسبة لقرار ضم لبنان وعبر عن ذلك بقوله: "إنه حين وضع القرار المتعلق بإعلان فيصل ملكًا على سوريا وفلسطين، أدخل المؤتمرون لبنان ضمن حدود المملكة، فخشي عارف النعماني من عرقلة الطريق للهدف الذي كان الجميع يسعون إليه. ولكنه بالمقابل لا يرى ذلك مناسبًا. لذا بدأ تحركه وذلك من منطلق ثوابته العقائدية السياسية والتي لا يستطيع أن يتغافل عنها أو يسمح للغير بتجاوزها. وكيف، والأمر يتعلق بكيونة لبنان؟"

وبالفعل أخذ القرار المتعلق بضم لبنان، وتوجه إلى قصر الملك فيصل، ولكن الملك رفض تعديل القرار المتعلق بلبنان لأنه سبق واتخذ قراره مع كافة

(١) حكومة رضا الركابي تألفت من السادة: علاء الدروبي (رئيس مجلس الشورى) رضا الصلح (وزير الداخلية) سعيد الحسيني (وكيل وزير الخارجية ويديرها عوني عبد الهادي ريثما يصل الحسيني) اللواء عبد الحميد فلطنجي (وكيل وزير الحرية على أن يديرها رئيس أركان الحرب يوسف العظمة) فارس الخوري (وكيل وزير المالية) جلال الدين زهدي (وكيل وزير الحفانية) ساطع الحصري (وزير المعارف) يوسف الحكيم (وزير وكيل التجارة). راجع: ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٢٦٤.

أعضاء المؤتمر. فأخذ عارف النعماني على عاتقه مسؤولية إقناع أعضاء المؤتمر، وذلك بمساعدة يوسف العظمة الذي كتب نص تعديل القرار بالنسبة للبنان، وأيضًا رئيس المؤتمر هاشم الأتاسي الذي سمح بمناقشة تعديل القرار المتعلق بلبنان مع أعضاء المؤتمر.

وسلم القرار للشيخ رشيد رضا. وعندما بدأ بقراءة الفقرة المتعلقة بوضع لبنان، علت الأصوات مستنكرة. فعمل عارف النعماني وهاشم الأتاسي ويوسف العظمة على إسكاتها. وعندما طرح القرار للتصويت صدّق عليه المؤتمرون بالإجماع. واتهم آنذاك عارف النعماني من قبل أعضاء المؤتمر السوري العام بأنه يحقق رغبات الجنرال غورو.

أما النص الذي سعى عارف النعماني إلى تعديله فكان ما يلي: "أن تراعى أمانى اللبنانيين في كيفية إدارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة، شرط أن يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبي". وهذا النص مدوّن على الزنك في سجلّ المؤتمر^(١).

لقد أصرّ عارف النعماني على تغيير القرار لاقتناعه بضرورة مراعاة وضع لبنان وإعطائه الحرية في إدارة مقاطعته، شرط الابتعاد عن الأجنبي. وهذا التفكير خارج عن مألوف تفكير مسلمي لبنان وخاصة أهل بيروت علمًا أن النعماني لا يشدّ عن هذا التفكير، ولكن مفهوم الوحدة مع بقية الدول العربية لا يعني الانصهار والذوبان بل التكامل. لذا دافع وأصرّ على حرية لبنان واستقلاله في إدارة شؤونه الإدارية والسياسية. ولم يتغاض النعماني ولو أنيًا عن حرية لبنان، لقد آمن بوضع لبنان الخاص والمميز رافضًا أي هيمنة تنتقص من سيادة لبنان واستقلاله.

وهذا يدفعنا دائمًا إلى التذكير بالفكر السياسي عند النعماني، فمن ١٩١٦ إلى ١٩١٩ إلى ١٩٢٠ نجده يتنقل ضمن محطات تاريخية زمنية، حاملاً معه ثوابته الفكرية الصلبة المطالبة دائمًا بلبنان عربي مستقل بعيد عن التأثيرات الأجنبية.

وبعد أن تم تتويج فيصل ملكًا، عاد عارف النعماني إلى بيروت وقد ازداد

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٢). نقل النص محمد جميل بيهم: سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢، ص ١١٣ - ١١٩. ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٢٦٤.

إعجاباً بعظمته، ولكن غورو أجابه: "بأنه كان يخشاه أميراً أكثر مما يخشاه ملكاً"^(١). وربما كان العكس صحيحاً بالنسبة لما حصل بعد صدور مقررات المؤتمر السوري، إذ سرعان ما ظهر اتفاق لويد جورج-كليمنصو الذي نتج عنه عقد مؤتمر سان ريمو في إيطاليا. وأرسل مجلس إدارة جبل لبنان وفدًا إلى باريس في ١ آذار ١٩٢٠^(٢) بانتظار قرارات المؤتمر، ليُصار إلى تطويقها خوفًا من أي مستجدات. وبعد انتهاء المؤتمر السوري أرسل عبد الله الخوري في ١٧ آذار ١٩٢٠ رسالة إلى البطريرك الحويك يطمئنه فيها بأن شيئًا لن يتغير في موقف فرنسا^(٣)، وقامت التظاهرات في لبنان مستنكرة مقررات المؤتمر السوري^(٤)، وأرسل البطريرك الحويك رسالة إلى مؤتمر الصلح محتجًا فيها على مقررات المؤتمر، وتتويج فيصل ملكًا، والوحدة مع سوريا... مطالبًا بدولة لبنان الكبير والاستقلال والوصاية، مذكرًا كليمنصو بالعلاقات التاريخية بين لبنان وفرنسا ودور الإرساليات في إعداد موظفين موالين للسياسة الفرنسية^(٥).

نلاحظ هنا كما ذكرنا سابقًا التقارب في وجهات النظر بين النعماني والحويك حول دولة لبنان الكبير والتباعد الحادّ بينهما حول ضرورة الاستقلال مع، أو بدون، وصاية أجنبية.

وطلبت فرنسا من خطباء الجوامع في بيروت عدم الدّعاء للملك فيصل لأن ذلك يشكّل اعترافًا به. بل الدّعاء للخليفة العثماني محمد وحيد الدين السادس. فاستنكر خطباء الجوامع، ذلك ورفض الشيخ محمد المكاوي هذا الإجراء (قاضي بيروت وخطيب مسجد المجيدية)، وصار يخطب ضد الانتداب الفرنسي. فكان من نتيجة ذلك أن اعتقله الفرنسيون وسجنوه في جزيرة أرواد، وطلبوا إليه أن يعتذر علنًا على المنبر ويكتب ذلك ويوقعه، فرفض، فربطوه في جبل وأنزلوه في بئر فيه

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٢).

(٢) Conference de la paix à la secreteirie de la délégation de l'empire Britanique, No. 254, 24 Mars 1920 in F.O. 371/5034/44. أرسلان ويوسف الجميل.

(٣) زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٤) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ١٠٣. أنيس مزهر: تاريخ لبنان العام، ج ٢، ص ٩١٦.

(٥) أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص ٣٤.

ماء بارد. وكان الفصل شتاء، وهو طاعن في السن فأصابه الرشح ونزلة صدرية، وكاد أن يموت. فأُخِلت فرنسا سبيله مقابل عدم مهاجمته فرنسا^(١).

أما في دمشق فقامت الحكومة الركابية، بالرد على اتفاقية لويد جورج-كليمنصو، بمحاولة الاتصال في ١٨ آذار ١٩١٩ بلويد جورج للالتفاف على فرنسا وشق التحالف البريطاني-الفرنسي، والقضاء على مصالح فرنسا في الشرق. فمقابل اعتراف إنكلترا باستقلال سوريا الكبرى تضمن الحكومة الركابية المحافظة على المصالح البريطانية والإفادة من مساعداتها في حدود الاستقلال.

إذن فقد ساعد المؤتمر السوري العرب على تحريك الأوضاع السياسية وقلبها، وفضح التحالفات السرية بين فرنسا وإنكلترا. وأظهر قوتهم في أخذ المبادرة، وفرض قراراتهم دون أي اكتراث بالحلفاء. لذا سارعت فرنسا إلى عقد تحالف مع إنكلترا، واستنكر المفوض السامي الفرنسي في لبنان الجنرال غورو مقررات المؤتمر. وقامت البطريركية المارونية ومجلس إدارة جبل لبنان بالضغط على فرنسا لإلغاء مقررات المؤتمر. مقابل ذلك قامت الحكومة الركابية بمحاولة عقد تحالف مع بريطانيا.

ولقد أدى هذا الصراع بين القوى المعنية بقضية سوريا الكبرى إلى الإسراع بكشف أوراقها وتحالفاتها السرية تحسبًا لما قد يقوم به الملك فيصل من أعمال عدائية ضد فرنسا، تعطيه القدرة على فرض قرارات المؤتمر السوري العام بالقوة على الحلفاء في مؤتمر الصلح.

عارف النعماني ونتائج مؤتمر سان ريمو

أسفرت هذه الصراعات عن عقد مؤتمر دولي بين الحلفاء في ٥ أيار ١٩٢٠ في سان ريمو بإيطاليا لتوضيح مسار التحالفات الفرنسية-الإنكليزية المتعلقة بسوريا الكبرى، تمهيدًا لمجابهة مقررات المؤتمر السوري. فاتفق على فرض انتداب فرنسا على سوريا ولبنان وإنكلترا على العراق وفلسطين. لأن هذه الدول غير مؤهلة للحكم والاستقلال. ولا بد من الانتداب تمهيدًا لممارسة الحكم الذاتي

(١) الشيخ شقيق يموت، جريدة اللواء ١٩٩٧/٦/٤.

فيما بعد... (١).

هذه القرارات فجّرت الأوضاع الداخلية في سوريا ولبنان، فقامت التظاهرات في دمشق مما عجل باستقالة حكومة رضا الركابي، وتشكيل حكومة هاشم الأتاسي^(٢). واندلعت الفتن الطائفية، وارتفعت الأصوات مطالبة الأمير فيصلاً بإعلان الحرب، فرفض علناً ولكنه تغاضى عنها ضمناً. هذه الردة العنيفة من جانب العرب ضد مقررات مؤتمر سان ريمو تزعمتها حكومة الأتاسي. فقام يوسف العظمة، بتتبع أخبار المعارك المندلعة في جبل عامل والبقاع ومناطق النصيرية (اللاذقية) وأنطاكية والجزيرة... (٣).

ونتيجة ذلك ساءت العلاقات السورية-الفرنسية. وتأزم الموقف بين الأمير فيصل والجنرال غورو، الذي حاول مقابلة الأمير لاستجلاء حقيقة هذه الأوضاع السياسية المستجدة. فردّ عليه ببرقية مقتضبة وغير واضحة، فطلب الجنرال غورو عارف النعماني عند الساعة الحادية عشرة ليلاً.

وأنقذ مجيء النعماني الجنرال غورو من ضيقه وانزعاجه فقال غورو للنعماني: "خذ واقرأ". وكان نص البرقية هو التالي: "تكرار الاعتداء المجرم على الطائفة الإسلامية يجعلنا نخشى مقابله في دمشق. الإمضاء: فيصل". وقال الجنرال غورو: "أيجوز لرجل مسؤول كالأمير أن يكتب لرجل مثلي هذه البرقية؟" (٤).

وتوجه عارف النعماني ليلاً إلى دمشق لاستجلاء حقيقة الموقف، فوصل الصالحيّة عند الساعة الثانية تقريباً بعد منتصف الليل، فاستقبله يوسف العظمة، وفيما بعد، دخل غرفة نوم الأمير فيصل محاولاً تهدئة الموقف المتأزم بين حكومة

(١) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ٢٧٨.

E. Rabbath: La formation Historique du Liban politique et constitutionnel, p 289.

(٢) تشكّلت حكومة هاشم الأتاسي الذي تولى رئاسة الوزارة والداخلية من السادة: عبد الرحمن الشهبندر (الخارجية)، يوسف العظمة (الحربية)، فارس الخوري (المالية)، جلال الدين (العدلية)، ساطع الحصري (المعارف)، جورج رزق (التجارة).

راجع: جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص ٤٢٠.

(٣) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٤.

(٤) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٨).

الشام والجنرال. فكان رد الأمير: "إن الاغتيالات في بيروت، والضواحي والجنوب، هيجت الرأي العام في دمشق. وسرت إشاعات أنها نتيجة لخطة مدبرة من جانب فرنسا، فاضطرت لإرسال برقية إلى الجنرال لتهدئة الرأي العام، وتلافياً لما يمكن أن يحدثه القلق والهيّاج ضد مواطنينا في دمشق". فرد عارف النعماني قائلاً: "الرأي العام أحياناً يجرّ المسؤولين إلى أشياء قد تضر جداً بقضيته".

ومنعاً من إشعال الفتن والوصول بالبلاد إلى نفق مظلم، طلب عارف النعماني من الأمير كتابة رسالة توضح حقيقة وخلفية البرقية التي وجهها إلى الجنرال بقوله: "إنني لم أقصد إزعاجكم، إنما قصدت لفت نظركم لإعطاء الأوامر المشددة لمن بيدهم أمر الأمن، كي تتجنب قيام بعض العناصر المشاغبة، وتحت ستار الطائفية، بأعمال لا نرضاها نحن ولا أنتم، وخاصة في هذه الظروف الحرجة". وبالفعل جلي الأمر كلياً بالنسبة إلى الجنرال غورو^(١).

وكان هدف النعماني من تلك الوساطة قطع الطريق على المشاغبين الذين أشعلوا نار الفتن المذهبية في لبنان وسوريا بهدف إغراق البلاد بالفتن الداخلية، وإلهاء سوريا عن التصدي عسكرياً لمقررات مؤتمر سان ريمو. والحقيقة أن الأمير كان يدرك أن فرنسا وراء قيام الفتن الطائفية في لبنان، من خلال تذكير المسيحيين بحوادث ١٨٦٠، وبالدعوة إلى الفينيقية، وإظهار العرب كوحش^(٢)، لذا حاول الأمير من خلال رسالته إلى غورو إفهامه أن ألاعب فرنسا وخططها باتت مكشوفة، وأنه لا يستطيع تهدئة الرأي العام في دمشق إلا من خلال رفضه لقاء غورو، وذلك حتى تقلع فرنسا عن ممارسة إثارة الفتن الطائفية.

لجأت فرنسا إلى إشعال نار الفتن الطائفية، لإثارة حرب داخلية في سوريا ولبنان تعيق الحكومة الأتاسية عن تنفيذ مخططاتها ضدها وذلك كسباً للوقت ريثما تنتهي قضية الحرب مع كيكيا. ولكن الحكومة الأتاسية واجهت ذلك بعناد. فقامت بتفجير المعارك في كافة المناطق السورية واللبنانية ضد الحكم الفرنسي، وخفضت التجنيد الإجباري لمدة سنة، وقامت بإصدار قرض بنصف مليون دينار

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٠).

(٢) أنيس صايغ: لبنان الطائفي، ص ٤٢٠.

سوري من أجل تمويل الخطط العسكرية.. واتصلت الحكومة الأتاسية بالأتراك الكماليين (نسبة إلى كمال أتاتورك) في كيليكيا لقطع خطوط الإمدادات العسكرية على القوات الفرنسية التي تحارب الأتراك هناك. وذلك بمنع الفرنسيين من استعمال سكة حديد (رياق-حلب)، فانهزمت فرنسا في كيليكيا واضطرت إلى عقد هدنة مع الأتراك لتتفرغ للحرب في سوريا. مقابل ذلك بقي مرفأ بيروت مشرعاً لاستقبال القطع الفرنسية والجنود^(١).

والواقع أن هذا القرار (قطع خط سكة حديد رياق-حلب) المفاجيء، نزل كالصاعقة على رأس الجنرال غورو، الذي أرسل في طلب عارف النعماني بعد منتصف الليل. فوجد الجنرال بحالة عصبية سيئة ينقر بأصابعه على مكتبه. وعندما رآه رُدت الروح إلى الجنرال الذي هتف قائلاً: "وهذا ضرب جديد من صديقك (يعني الأمير فيصل)! إنه يمنع مرور القطع العسكرية الفرنسية عن طريق حلب إلى كيليكيا مع علمه أننا ما زلنا مشتبكين مع الأتراك، وأنا مضطر لإرسال نجدة، والأمير بحالة حرب مع تركيا.. فكيف يمنع مرور حلفائه ضد أعدائه؟ إذا أصرّ فسيُسبب كارثة عسكرية، وسأقتحم الممر بالقوة، فالجنود والقاطرات في رياق تنتظر الأمر. ولم يخطر ببالي أن الأمير سيمنع وحدتنا من المرور، ولقد أبرقت منذ الساعة السابعة مساءً، وحتى الآن لم أتلّق جواباً. والساعة الآن الثانية والنصف بعد منتصف الليل"^(٢).

هذا الموقف يبين لنا حجم المساعدات التي قدمها العرب للحلفاء من أجل الاستقلال، وأن قليلاً من الجرأة في دفاعهم عن أراضيهم وحقوقهم تظهر لنا مدى مراوغة الحلفاء في تحقيق أمانهم العربي، وتسخيرهم فقط من أجل تحقيق مطامعهم الاستعمارية، وهنا يظهر لنا سبب الصدمة التي أصيب بها غورو بسبب تصرف الأمير..

وأنت البرقية من الأمير. فقام عارف النعماني بترجمتها وقد جاء فيها ما يلي: "إنه، نظرًا لظروف حرجة، واعتبارات شتى، لا يمكنني السماح بمرور جنود أجنبية في الأراضي السورية. الإمضاء: فيصل". وقرر عارف النعماني التوجه إلى

(١) أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٤.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٠).

دمشق فوصلها مطلع الشمس حيث تشاور مع الأمير فيصل بالمشكلة. فسمح للجنود الفرنسيين بالمرور شرط عدم البقاء في محطة حلب أكثر من ساعتين^(١).

مما تقدّم نلاحظ تدخل عارف النعماني لمنع التوتر في العلاقات السورية-الفرنسية، يساعده في ذلك علاقته بالجنرال غورو الذي اعتبره مستشاراً سياسياً له. ولقد أثبت النعماني حنكته ودرايته في حل أصعب المواقف السياسية بين فرنسا وسوريا (قضية النعرات الطائفية، قضية سكة حديد رياق-حلب).

أضف إلى ذلك أن العلاقة الشخصية بينه وبين غورو، قامت على الصدق والثقة واللياقة لدرجة استشارته في إقامة حفلات رسمية أو إلغائها، وحتى في اختيار من يدعو من الشخصيات الرسمية. بالمقابل كان عارف النعماني يفرض على الجنرال غورو حضور بعض الاحتفالات الدينية كاحتفال التوحيد^(٢) في جامع البسطة. وربما كانت الغاية من ذلك إعطاء غورو صورة صادقة عن مسلمي لبنان وعفويتهم وتدينهم وحبهم لفرنسا (الحرية، العدل، المساواة) وبأنهم ليسوا وحوشاً كما يحلو للبعض أن يصوّروهم..

كل ذلك يبين لنا نوعيه العلاقة بين غورو والنعماني التي تصل إلى حد إشراك الواحد للآخر في شؤونهم وهمومهم العامة وحتى الخاصة، الهامة والخطيرة منها والعادية التقليدية.. وما ذلك إلا نوعاً من الصفاء الوجداني بين الأشخاص ينساق وفق انسجام فكري مع الآخرين، وإن اختلفت وجهات النظر في الأمور السياسية، وخاصة ما يتعلق بمصلحة الوطن.

أما الأمير فيصل فعلاقته به تعود إلى ما قبل ثورة الشريف حسين، فلقد وجد

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٠).

(٢) التوحيد: تقليد ديني يمارس على شكل احتفال، يقوم به المسلمون كتعبير عن الوحشة لفراق شهر رمضان. وقد طلب شباب لجنة البسطة أواخر سنة ١٩١٩ من عارف النعماني حضور غورو حفلة التوحيد. قال النعماني: «ولمّا اقترحت على غورو الحضور. سألتني رأيي، فاقترحت عليه القبول، ولكن غورو لم يأت. وسألت الضابط الذي جاء ليعتذر عن مقره، فقال: "النادي العسكري الفرنسي" - حيث كان يحضر حفلة راقصة للجالية الفرنسية - وذهبت إلى النادي. وخرج غورو لاستقباله، فقلت بلهجة مازحة: إن حضور حفلة دينية صعب عليك. ولكن الشباب لا يفهمون ذلك". فقرر غورو مرافقة النعماني بسيارته، ولحقت به سيارته الخاصة واستقبل استقبالاً رائعاً. راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٠).

فيه الزعيم المناضل من أجل الاستقلال، فاعتبره المجسّد لأمانيه. لذا تقرب منه لمساعدته على استقلال لبنان. نتيجة ذلك بات الأمير فيصل صديقاً ارتبط معه سياسياً وشخصياً، فعمل عارف النعماني على حل الأزمات السياسية التي كانت تقع بين الأمير فيصل والجنرال غورو، مشكّلاً بذلك صمام الأمان بينهما.

مقابل ذلك عمل عارف النعماني على ترطيب الأجواء السياسية بين الجنرال غورو والأمير فيصل متحيّناً الفرص لجمعهما معاً. فحين أتى الأمير إلى بيروت، متجهاً منها إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح، أقام عارف النعماني حفلاً على شرفه في نادي سباق الخيل في بيروت. ودعا أيضاً الجنرال، واصطحب النعماني الأمير بعربته، فاستقبل استقبالاً رائعاً من قبل شباب منطقة البسطة الذين هتفوا (بدنا الحرب) لأن الأمير فيصل كان يجسّد آنذاك آمال الشعوب العربية بالاستقلال والوحدة. ووسط الموسيقى العسكرية الفرنسية استقبل الجنرال وضباطه الأمير فيصل، وعارف النعماني^(١).

هذه العلاقات الشخصية السياسية بين عارف النعماني والأمير فيصل والجنرال غورو لم يستغلها من أجل منصب وزاري أو زعامة^(٢) بل كان الهدف الأسمى لديه استقلال لبنان وإبعاده عن الهيمنة الفرنسية، ليبقى منسجماً مع محيطه العربي. فكان أشبه بالمايسترو الذي ضبط آنذاك إيقاع السياسات السورية-الفرنسية-اللبنانية بإيجاده صيغه تفاهم بين فيصل وغورو من أجل الحفاظ على النظام العام. فسعى بحكمة وروية، من أجل تقريب وجهات النظر المختلفة بين حاكمين قويين، يتعاطيان الشأن السياسي بغايات وأهداف جدّ متباينة ومتناقضة،

(١) «في آخر شوط للسباق، أطلق جوادان جُذلت في شعر معرفة أولهما وناصيته ثلاث شرائط حريرية تمثل العلم العربي، وفي ثانيهما شرائط تمثل العلم الفرنسي. وأعلن الأمير بصفته الحكم فوز الجواد الذي يحمل العلم الفرنسي. واتضح للجمهور العكس، وظهر أن الأمير قام بذلك من باب اللياقة. ولكن الجمهور أنكر ذلك، وكاد أن يقلع ناصية الأمير والجنرال». راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩١).

(٢) عندما طلب منه أصدقاؤه الترشح «للاتخابات النيابية» أجابهم: «إن فرنسا ستحاربنى لأنني أعمل ضدها» علماً بأن النعماني كان له منزلة هامة بين أبناء وطنه، ولطالما حُملت عربته على الأكف... وبالفعل ترشّح للانتخابات. فخاضها ضد عبد القادر حمود، وخاضها أيضاً حليم قدورة ضد خير الدين الأحذب، وسقط عارف النعماني في الانتخابات. من مقابلة مع عبد الرحمن عارف النعماني ١٠/٧/١٩٩٧. محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).

ضمن مرحلة تاريخية مصيرية ودقيقة جدّاً، يحاول فيها كلا الطرفين إسقاط الطرف الآخر في المطبّات السياسية من أجل القضاء عليه.

أثناء ذلك عمل عارف النعماني في حركة دؤوبة وحس وطني من أجل نزع فتيل الحرب بينهما، ريثما ينتزع الأمير الاعتراف الدولي بمملكته، وذلك تحقيقاً للهدف الأسمى... وهو الاستقلال.

دعمه المادي لمجلس إدارة جبل لبنان

وفق ما ذكرنا عن علاقات عارف النعماني السياسية والشخصية بالأمير فيصل والجنرال غورو، لاحظنا أن الوضع السياسي السائد بين فرنسا وسوريا ولبنان كان غير مستقر، ويميل دائماً إلى التوتر والانفجار، لولا وساطات النعماني التي كانت تعيد الأمور السياسية إلى مسارها السلمي. والمعروف أن هذا الجو المتوتر من جانب فرنسا كان نتيجة إعلان العرب قيام مملكة سوريا الكبرى الموحدة المستقلة. فردّ الحلفاء على ذلك بعقد مؤتمر سان ريمو الذي نص على الانتداب الفرنسي البريطاني لسوريا الكبرى، مما أدى إلى تفجّر الثورات وتوتر العلاقة مع فرنسا. ولكن بقي السؤال، إلى متى يستمرّ الوضع السياسي في لبنان وسوريا على هذا الحال ومؤتمر الصلح لم يحدّد أو يعلن مقرراته النهائية، والخلافات ما زالت قائمة بين دول الحلفاء ودول المحور بانتظار المستجدات السياسية؟

رغم ذلك تابعت الحكومة الفيصلية سياستها الهادفة للقضاء على الوجود الفرنسي في سوريا ولبنان... وظهرت تحركاتها في لبنان من خلال محاولتها القضاء على مجلس إدارة جبل لبنان الذي طالب بانتداب فرنسا وبقائها في لبنان... فبدأت الحكومة الفيصلية تعمل على إظهار الموارنة بأنهم لا يريدون فرنسا، وأن استفتاء لجنة كنغ-كراين الذي تعتمد عليه فرنسا في بقائها في المشرق باطل، وأن العرب لا يريدونها إنما يريدون الاستقلال بالاتفاق مع سوريا.

لذا قامت القوى الوطنية في سوريا ولبنان بالتحرك ضد تسلّط لافرو (متصرف جبل لبنان الفرنسي) لتحقيق الاستقلال. فاستدعى الأمير فيصل الأمير لاي سعيد البستاني الذي كان يعمل من أجل التفاهم بين سوريا ولبنان لإقناعه بضرورة الاتحاد بين سوريا ولبنان، واتفقت وجهات النظر بينهما على ضرورة دفع مجلس

إدارة جبل لبنان (والذي يعتبر دعامة فرنسا في لبنان) للمطالبة باستقلال لبنان في مؤتمر الصلح، كردّ على رفض مقررات مؤتمر سان ريمو، والحماية الفرنسية. وتعهد سعيد البستاني للمعتمد العربي في لبنان جميل الألشي بالاجتماع بأعضاء مجلس الإدارة، فالتقى جميل الألشي مع الأمير أمين أرسلان لتنسيق المواقف مع بقية أعضاء المجلس^(١).

مما تقدم، نلاحظ تمحور العمل السياسي آنذاك بين المسيحيين والمسلمين في لبنان على الاستقلال في إطار التضامن العربي، والاتفاق مع سوريا بالنسبة لقضية ضم الأقضية الأربعة.

وهذا التحرك أيضًا لأعضاء مجلس الإدارة يكشف لنا عمق النزاع بين السلطة المتدبة والإرادة اللبنانية من أجل خروج لبنان من واقع الحماية الفرنسية، وإلغاء صلاحية المفوض السامي.

لذا ابتكر زعماءه صيغة لميثاق وطني عرف «بالمضبطة». ولقد قام رياض الصلح، وإياعاز من والده رضا الصلح (وزير الداخلية في سورية)، بالاتصال بسليمان كنعان ومحمود جنبلاط وسعد الله الحويك لكتابه مضبطة الاستقلال والتي نصّت على ما يلي:

- ١- استقلال لبنان الكبير استقلالًا مطلقًا.
- ٢- حياده السياسي (لا يُحَارَب ولا يُحَارَب) حيث يكون بمعزل عن كل تدخل حربي.
- ٣- إعادة الأراضي اللبنانية المسلوخة منه بموجب اتفاق مع سوريا.
- ٤- يجري درس المسائل الاقتصادية من قبل لجنة مؤلفة من الطرفين (لبنان - سورية) وتنقذ بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسوريا.
- ٥- يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول للتصديق على هذه البنود الأربعة وأحكامها.

وقّع هذه المضبطة أعضاء مجلس الإدارة السادة: سعد الله الحايك و خليل

(١) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ٢٧٨ - ٢٧٩. يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج ٢، ص ٩٢١. أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٥ - ٤٩.

Gen: Gourand à quai d'orsay, No. : 2864, 25 Mars 1920 in F.O 371/5034/44.

عقل وسليمان كنعان ومحمود جنبلاط وفؤاد عبد الملك والياس الشويري ومحمد الحاج محسن. إذ كانوا يشكّلون أكثرية المجلس. أما بقية الأعضاء فلم يُطلب توقيعهم، وهم السادة: نقولا غصن ويوسف البريدي وحسني الحجار ومحمد صبرا الاغور ونعوم باخوس نائب كسروان الذي سبق واستقال من منصبه^(١).

صدرت هذه المقررات في ١٠ تموز ١٩٢٠. وقد صيغت وفق عريضة قدّمها أعضاء المجلس ال ١٢ (استقالة عمون) إلى مؤتمر الصلح. حيث شرحوا فيها مطالب اللبنانيين بالاستقلال، بقولهم: "ولمّا كان استقلال الجبل ثابتًا تاريخيًا منذ أجيال طويلة، وموقعه وطبيعة أهله الموالفة للحرية الاستقلالية، مما يستلزم حياده السياسي، لوقيته من مطامع جيرانه، وقد دل على ذلك، ما أحدثته المقاطعة من تحرك النعرات الطائفية لدى الجهلاء في البلدين، لذا بذل المجلس مزيدًا من الاهتمام، توصلاً لوفاق يضمن حقوق البلدين المتجاورين (سوريا-لبنان) ومصالحهما، وذلك باعتماد المقررات الخمسة ضمانةً لذلك^(٢)".

واضح من ذلك أن الغاية كانت رفع الانتداب، واستبدال معاهدة حيّة به تصون استقلال لبنان.

تم الاتفاق على هذه المقررات بسرية تامة ووقّعت في منزل نجيب الأصفر في بيروت، دون علم داود عمون وحبيب باشا السعد، لأنهما كانا لفرنسا قلبًا وقالبًا. وبرزت مشكلة المال، لتأمين انتقال أعضاء مجلس الإدارة من بيروت إلى دمشق، فحيفا، فباريس. وتعهد عارف النعماني بدفع عشرة آلاف وخمسمائة ليرة ذهبية، أي بمعدل تسعمائة ليرة ذهبية لكل عضو. وطلب رياض الصلح ضمان المبلغ، وتحرير صك بذلك لضمان سفر الأعضاء. ووافق سليمان كنعان على توقيع السند، فكفله الأمير أمين أرسلان، لمدة خمسة عشر يومًا.

وتعهدت الجمعيات الوطنية في المهجر، دفع نفقات الإقامة في باريس دون تحديد لمدة الإقامة. وذكر بشارة الخوري أنه اطلع على المضبطة وكاد أن يوقعها ولكنه اعترض على قضية المرور على دمشق، وربما خشي من إضافة بنود سرّية

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٢).
جريدة اللواء بتاريخ ١٤/١٢/٩٥، ص ٨. من مقال لظاهر ريشا.
(٢) أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٦.

على المضبطة. ووقع بشارة الخوري في حالة لبس تجاه ذلك ولم يشارك في التوقيع. وتوجه الأعضاء بسيارات متفرقة إلى دمشق للانضمام إلى الوفد السوري المتوجه إلى مؤتمر الصلح في باريس.

ففي ليل ٩-١٠ تموز ١٩٢٠، وعلى مقربة من رويسات صوفر، اعترض حاجز فرنسي سيارة سليمان كنعان نائب جزين وولده مارون ورياض الصلح في المديرج أمام نفق السكة الحديدية. فطلب سليمان كنعان من ولده مارون ورياض الصلح العودة إلى بيروت. فتوجه رياض إلى دمشق بالقطار، أما سليمان كنعان فقد اعتقلته السلطات الفرنسية مع محمود جنبلاط نائب الشوف وسعد الله الحويك نائب البترون والياس طنوس الحويك و خليل عقل ورشيد خليل عقل وأمين أرسلان ومحمد محسن نائب الهرمل والياس الشويري نائب المتن وسعيد البستاني أمير الجند اللبناني وفؤاد عبد الملك نائب جزين ويوسف البريدي نائب زحلة. وفيما بعد اعتقل عارف النعماني^(١)، واتهم نجيب الأصفر بأنه وراء ذلك^(٢) وتذكر بعض المراجع بأن وديع كرم هو الذي أفشى سر المضبطة^(٣)، ولعل في ذلك بعض الصواب لأن نجيب الأصفر سيكون فيما بعد شريكاً لعارف النعماني في مشاريعه المستقبلية في العراق.

واقيد المعتقلون إلى الطابق الأرضي للسراي الصغير، وكانت التهم الموجهة إليهم، أن المعتقلين، حاولوا السفر إلى أوروبا عن طريق دمشق وحيفا بدون إذن الحكومة الفرنسية وهناك أيضاً تهمة المضبطة التي وضعها أعضاء مجلس الإدارة، معبرين فيها عن الأمانى اللبنانية المتعلقة بفرنسا وحكومة فيصل. وآخر التهم قضية المال...

والواقع أن قضية مضبطة مجلس إدارة جبل لبنان، أثارت الذعر لدى الفرنسيين والمسيحيين في لبنان. وخاصة الجنرال غورو الذي اتهم أعضاء

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٢). زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ١٦٧. أمين الريحاني: ملوك العرب، ج ٢، ص ٣٥٣. بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ١، ص ١٠٥. يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج ٢، ص ٩٢١. أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٨. حسان حلاق: التيارات السياسية في لبنان، ص ٥٥ - ٥٦.

(٢) يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج ٢، ص ٢٣.

(٣) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٨.

المجلس بأنهم ابتيعوا بدراهم الأمير فيصل وأعوانه. واستنكر ذلك داود عمون وأغناطيوس مبارك وأميل إده^(١) والبطريك الياس الحويك الذين اتهموا أعضاء المجلس بالخيانة^(٢).

وبناء عليه ألغى الجنرال مجلس إدارة جبل لبنان لأنه رفض الانتداب، وشكّلت مكانه لجنة إدارية مؤقتة، ووجه إلى الأمير فيصل رسالة اتهمه فيها بشراء مجلس الإدارة. وألّفت فرنسا مجلساً عسكرياً برئاسة الكولونيل فوكرسون وعضوية كليمنصو وديبوي ولاير لمقاضاة أعضاء مجلس الإدارة بتهمة الخيانة العظمى^(٣).

بدأت محاكمة سليمان كنعان. تحدّث عن المضبطة والمال وعن علاقته بالأمير مصطفى أرسلان الذي أكّد رفضه للبنان الكبير في ظل الانتداب وعن مبدأ الأمير أرسلان الشريف والوحدوي، وبأن كنعان صار مثله (أي رفض لبنان الكبير ويريد الوحدة مع سوريا).

وهنا عاد رئيس الجلسة لسؤال كنعان عن اسم الرجل الذي أدانته المال، فأنكر معرفته به شخصياً وقال: «أن جلّ ما يعرفه بأنه وقّع على سند يامضائه لأمر تاجر من بيروت، وأظنه من بيت النعماني، وكان الأمير أرسلان الواسطة بيننا، وهو الذي كفل توقيعي على السند». واستغرب الرئيس أن يكون لدى تاجر مسلم مبلغ كبير بهذا الحجم لأجل ملاحقة قضية لبنان، ولا بدّ أن يكون المال لإيجاد اتفاق بين لبنان وسوريا.

ولكن كنعان، أكّد أن بين المسلمين أنصاراً للبنان، كما أن بين المسيحيين أنصاراً للوحدة السورية.

وسأل الرئيس الأمير أرسلان عن المال، فأكّد بأن كنعان (صديقه الشخصي) قد طلب منه أن يكفله على سند بقيمة عشرة آلاف ليرة مصرية، فكفله. وسأله

(١) إميل إده: غربي التفكير، قطع جذور الانتماء العربي للمسيحيين في الشرق وقال بانتماء المسيحيين إلى شعوب البحر المتوسط، ولقد قام سنة ١٩٤٣ باعتقال حكومة الاستقلال وحبس أعضائها في راشيا. راجع: زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ١٦٧.

(٢) أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٩ - ٥٢.

(٣) المصدر نفسه.

الرئيس عن اسم الشخص الثالث، فأكد أرسلان بأنه ليس من حقّه البوح في معاملات خاصة، فأكد الرئيس: «أن كنعان قد صرّح بأنه قبض المال منك وعلى طاولتك، فمن أين أتيت بالمال؟»

فردّ الأمير غاضباً بأنه لم يدفع مالا من يده وكل ما قام به هو أنه كفل إمضاء كنعان على السند المكتوب لأمر التاجر البيروتي (يعني النعماني). ولكن الرئيس استحلّف أرسلان بشرفه ليذكر اسم الشخص الثالث الذي دفع المال لكنعان. فقال: «إن الشخص الثالث الذي كان معنا هو رياض الصلح». فاستغرب الرئيس الاسم! فقال له المدير العام للجلسة: «ابن وزير داخلية سوريا». وهنا علت الضجة في المحكمة. فقال الرئيس: «إذن المال من أبيه». فأنكر أرسلان ذلك، وأكد أن المال من بيروت.

واستدعي النعماني فوراً، وسأله: «إن كان يعرف كنعان». فنفي معرفته به. ونفي كنعان أيضاً معرفته بالنعماني، وسأل الرئيس النعماني: «كيف تم دفع المال لكنعان؟» فاستغرب النعماني قضية المال وأن يكون قد دفع مالا لكنعان أو طلب منه دفع مال لكنعان، وهنا احتدّ الرئيس وقال للنعماني بأنه دفع المال بواسطة رياض الصلح.

وأجاب النعماني: «بأن رياض الصلح قد زاره كصديق وطلب منه أن يكتب سنداً بقيمة عشرة آلاف جنيه مصري لأنه له معاملة تجارية، ومسألة شراء حرير وشرانق من الجبل، فقبلت أن يكتب سنداً لأمر كي أخدمه». وزادت دهشة الرئيس! وأكد النعماني مجدداً بأنه لم يدفع مالا، ولم يستلم سنداً، ولا يعرف سليمان كنعان. وسأل الرئيس عن السند. فأجابه النعماني: «إنه في حوزة رياض الصلح». واستغرب الرئيس ذلك فأجابه النعماني: «لأنني لم أدفع مالا فلا حاجة بي إلى السند».

وطلب الرئيس أن يبقى النعماني تحت تصرّف المجلس الحربي. بعد ذلك طلب الأمير أمين إخلاء القاعة وأن تكون الجلسة سرّية. . .

واستحلّف المجلس العسكري الأمير أمين بشرفه عن اسم الشخص الذي دفع المال لأعضاء المجلس، فاعترف باسم عارف النعماني. واعتقلت السلطات

الفرنسية عارف النعماني^(١).

وأصدر المجلس الحربي الدائم للأراضي السورية في ٢١ تموز ١٩٢٠ حكماً بتجريم عارف النعماني لاشتراكه برشوة موظفين رسميين، وهناك أسباب تخفيفية تقضي بحبسه لمدة سنتين أو دفع غرامة ١٢,٥٠٠ ل.س. وحُكم بأغلبية ثلاثة أصوات ضد صوتين، وخفف الحكم من السجن إلى الإقامة الجبرية بناء لطلب فخري بك وبترو طراد. وقيل غورو ذلك نظراً لصداقة عارف النعماني وخدماته لفرنسا ولأنه لم يتقاض مالا^(٢). ولكن الجنرال غورو لم يصدق أن يقوم النعماني بخدمة ابن وزير داخلية الشام (رياض رضا الصلح) بنقل بطاقة الأمير الموقّعة من قبل سليمان كنعان والأمير أمين أرسلان إلى اسمه، من دون احترام دوافع الخطوة التي هي الغرض^(٣).

أما أعضاء مجلس إدارة جبل لبنان فصدرت الأحكام ضدهم على الشكل التالي:

يُنْفى سعد الله الحويك - ١٠ سنوات ويعيد ٨٠٠ ليرة من أصل المبلغ الذي تناوله مصروفًا لسفره، ويُغرّم ١٤٠٠ ليرة

يُنْفى فؤاد عبد الملك - ١٠ سنوات، ويعيد ٨٠٠ ليرة مصروفًا لسفره، ويُغرّم ١٦٠٠ ليرة + ١٤٠٠ ليرة

يُنْفى خليل عقل - ١٠ سنوات، ويعيد ١٤٠٠ ليرة من أصل المبلغ الذي تناوله، ويُغرّم ٢٠٠٠ ليرة + ١٤٠٠ ليرة

يُنْفى سليمان كنعان - ١٠ سنوات، ويعيد ١٤٠٠ ليرة من أصل المبلغ الذي تناوله، ويُغرّم ٢٨٠٠ ليرة + ١٤٠٠ ليرة

يُنْفى محمد الحاج محسن - ٨ سنوات، ويعيد ١٤٠٠ ليرة من أصل المبلغ الذي تناوله، ويُغرّم ٢٨٠٠ ليرة + ١٤٠٠ ليرة

(١) يوسف ابراهيم يزبك: وثائق حول أشهر محاكمة سياسية في عهد الانتداب، نقلها نجيب البعيني، نهار الشباب ١٨/٨/١٩٩٨.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٤).

(٣) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات الفرنسية (وثيقة رقم ١ - ٢).

يُنْفَى محمود جنبلاط - ٧ سنوات، ويعيد ١٣٥٠ من أصل المبلغ الذي تناوله، ويُغَرَّم ٢٧٠٠ ليرة + ١٣٥٠

يُنْفَى الياس الشويري - ١٠ سنوات، ويعيد ١٥٠٠ ليرة من أصل المبلغ الذي تناوله، ويُغَرَّم ٣٠٠٠ ليرة + ١٥٠٠

يُنْفَى سعيد البستاني - ١٠ سنوات

يُنْفَى أمين أرسلان - ٦ سنوات

ونقل أعضاء المجلس مع عارف النعماني إلى جزيرة أرواد، ثم إلى جزيرة كورسيكا حيث بقي النعماني هناك حتى سنة ١٩٢٣..

وهكذا حكم على أعضاء مجلس الإدارة بالنفي والسجن والغرامات المادية. وأثناء نقلهم إلى جزيرة كورسيكا، أعلن الجنرال غورو دولة لبنان الكبير، واتخذ من حادثة مجلس إدارة جبل لبنان ذريعة لاحتلال سوريا. فبعث إنذاره الشهير إلى الأمير فيصل في منتصف تموز^(١) لاعتقاده بأن الأمير هو الذي مؤل مجلس الإدارة للتمرد ضد الحكم الفرنسي، وأن ابن وزير الداخلية كان بطل (البيع والشراء). وحشد غورو الجيوش الفرنسية لاحتلال سوريا، حيث دارت معركة ميسلون ١٩٢٠ تموز بقيادة يوسف العظمة. تلك المعركة التي جمعت السوريين إلى جانب اللبنانيين^(٢) فكان من نتائجها انتهاء الحكم الفيصلي في سوريا بتاريخ ٢٤ آب ١٩٢٠. وتوجّه الأمير إلى إيطاليا، وبدأ الانتداب الفرنسي لسوريا، فسجّلت المعارضة الوطنية السوريّة مزيداً من الثورات والمعارك المناهضة لفرنسا^(٣).

(١) نص الإنذار على التقاط التالية: السماح لفرنسا باستعمال خط سكة حديد رياق - حلب، القبول بالانتداب، إلغاء التجنيد، قبول الأوراق النقدية التي أصدرها البنك السوري (وهي مؤسسة مصرفية فرنسية)، منع الأمير من الذهاب إلى مؤتمر الصلح قبل الموافقة على بنود الإنذار. راجع: ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ١٠٤.

(٢) من الذين شاركوا في معركة ميسلون الطبيب اللبناني رشيد معنوق الذي استشهد يوسف العظمة على ذراعيه. ولقد نفى الفرنسيون فيما بعد رشيد معنوق إلى العراق. راجع: جريدة اللواء ١٤/١٢/١٩٩٥، من ص ٨، مقال ضاهر ريشا.

(٣) أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٩ - ٥٣. E. Rabbath: La formation historique du Liban. P.P. 347-348.

نفي النعماني إلى جزيرة كورسيكا

وهكذا وبسبب الخيانة وحنكة القيادة الفرنسية الواعية لتحركات القوى الوطنية في لبنان، ارتسمت نهاية التحرك السياسي لعارف النعماني بالنفي والسجن، لأن مسألة استقلال لبنان بالنسبة له كانت قضية قدر لا مفرّ منه سعى لتحقيقه باللين تارةً (علاقته الشخصية مع غورو) وبالخطط السريّة وبذل المال طوراً، دون أي اكتراث لقوة دولة عظمى كفرنسا وجبروتها، والتي كانت تعتبر نفسها حامية الوجود المسيحي في الشرق.

لأنّ موقف عارف النعماني، منذ أول طرح لقضية استقلال لبنان بعد انتهاء الحكم العثماني لم يتغير، فلقد ظلّ النعماني، يطالب ويفاوض ويفرض على الأمير فيصل مراعاة قضية استقلال لبنان^(١). وهذا ما ينفي عن العلاقات السورية-اللبنانية مسألة إلغاء لبنان وذوبانه في سوريا الكبرى. بل على العكس نجد النعماني يطالب الأمير فيصل بالاستقلال كما يطالب غورو بذلك. لقد شكّل استقلال لبنان عند النعماني الهاجس والمصير. لأنه رجل الاستقلال التّوّاق إلى الحرية. من أجل ذلك هانت عليه مشاقّ الغربة والنفي، فتحمل النعماني وأعضاء مجلس الإدارة مصاعب النقل إلى أرواد والعودة إلى بيروت، حيث نقلتهم باخرة فرنسية محمّلة بالجنود الفرنسيين الجرحى العائدين إلى بلادهم بعد انتهاء الحرب في كيكيا. وكاد النعماني وأعضاء مجلس الإدارة أن يقضى عليهم في الباخرة لولا لطف الأقدار^(٢).

ولم تتوقف المعاناة عند هذا الحد بل تجاوزتها إلى المسائل الصحية

(١) راجع: موقف عارف النعماني في المؤتمر السوري سنة ١٩٢٠، ص ٥٧.
(٢) تفصيل حادثة الباخرة أن الربان ذكر على لائحة الطعام أن عارف النعماني ورفاقه من الأتراك، وبما أن الجرحى الفرنسيين كانوا قد أصيبوا أثناء المعارك مع الأتراك في كيكيا، فقد رأى هؤلاء الفرنسيون رمي النعماني ورفاقه ليلاً في البحر. ولم يخلص النعماني من نوايا الفرنسيين إلا باسترجاع بعض الذكريات عن (ملهى المرصد) في بيروت وتلك المغنية الألمانية، وترديد مُرافق النعماني (اسماعيل الشافعي) لمقطع من الأغنية. فأتى أحد الركاب، وهو ألماني كان يحارب مع الفرنسيين في كيكيا مستوضحاً هوية النعماني وسبب ترديده هذه الأغنية. وعندما علم بأنهم ليسوا أتراكاً، نبه عارف النعماني إلى المؤامرة. فاستدعى النعماني الربان الذي أجرى تحقيقاً سريعاً حول الموضوع. راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٤).

والظروف اللاإنسانية التي تعرّض لها أعضاء المجلس أثناء إقامتهم في مرسيليا^(١). وانتهت تلك المعاناة بمجرد وصولهم إلى جزيرة كورسيكا^(٢) فاستأجر النعماني قصرًا ومكث هناك مع إخوانه أعضاء المجلس بعيدين عن أخبار لبنان.. ولكن منعت زوجته من مقابلته^(٣). عاود عارف النعماني اتصالاته بالمسؤولين الفرنسيين من أجل السماح له بالسفر إلى مانشستر لتفقد تجارته هناك. وبعد شهر سمح له بالسفر برفقة رقيب فرنسي دائم^(٤)، ونظرًا لحنكته وسرعة بديهته، اتصل أثناء العودة بوزير الخارجية الفرنسي السيد بريان، وأقنعه بضرورة نقله ورفاقه من الجزيرة إلى باريس. وبالفعل تمّ له ما أراد بشرط تسجيل اسمه وأسماء رفاقه في سجل الشرطة يوميًا^(٥).

تحمل عارف النعماني معاناة النفي بعناد وكبرياء، رافضًا التسليم بمبدأ التخلص من الحكم التركي والاستسلام للانتداب الفرنسي. رغم اتصال غورو بالنعماني وأعضاء مجلس إدارة جبل لبنان في المنفى من خلال شكري غانم، عارضًا عليهم الحرية مقابل التوقيع على العريضة التالية:

"إني آسف جدًا لما صدر عني نحو الحكومة الفرنسية التي لم نضمّر لها إلا الخير والولاء، ولم يكن أبدًا قصدنا فيما رمينا إليه الإساءة لها، وحبنا التقليدي لها مشهور لدى العموم"^(٦).

وطبيعي أن يرفض عارف النعماني التوقيع على العريضة، وتبعه في موقفه هذا سليمان كنعان^(٧) والأمير أرسلان. في حين وقّع على العريضة سعد الله الحويّك

- (١) يذكر عارف النعماني أنه حُشر مع أعضاء مجلس الإدارة في غرفة ضيقة مظلمة ليس لها منافع صحية. وكان بينهم مريض بالسكري، فاضطروا إلى شراء برميل لهذه الغاية. (المصدر نفسه).
- (٢) في كورسيكا (منفى نابليون بونابرت) كان للنعماني صداقات مع من بقي من عائلة بونابرت. المصدر نفسه (مجموعة رقم ٢٠٩٦).
- (٣) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات الفرنسية (وثيقة رقم ٦).
- (٤) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات الفرنسية (وثيقة رقم ٣).
- (٥) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني، (مجموعة رقم ٢٠٩٦).
- (٦) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات الفرنسية (وثيقة رقم ٧).
- (٧) سليمان كنعان: تمكّن فيما بعد من الهرب. وتفصيل ذلك أنه أقام عند سيدة أجنبية وأطلق لحيته وأوهمها بأنه يخفي أوراقًا سرّية. فأعلمت الشرطة التي لم يكن لها علم بقضية النفي، فسألوه عن هويته، فأجابهم، بأنه منفي. واكتفوا بتسجيل أنه أجنبي بدون هوية وإقامة، وأمروا بترحيله، =

وخليل عقل ومحمود جنبلاط والياس الشويري وفؤاد عبد الملك ومحمد الحاج محسن وسعيد البستاني ورشيد عقل^(١).

والواقع أن عارف النعماني لم يكن بحاجة إلى توقيع عريضة أو طلب استرحام من فرنسا للإفراج عنه، لأنه كان واثقًا من عدالة قضيته. ويؤكد على ذلك تاريخ علاقه الجيدة بفرنسا وغورو. كما أعلنت ذلك مجلة فلوريل الباريسية وقد عبّرت عن ذلك بنشرها ما يلي: "لا نستطيع القول إن إنسانًا مثل النعماني، ساعد الفرنسيين عن طيب خاطر، عدوّ لفرنسا، دون أن يُظهر فعليًا أيّ عداوة تجاه فرنسا التي يحبها. لذا يُطلب الرجوع إلى قضية ربما صدر الحكم فيها بشيء من السطحية. وإذا أُعيد النظر بدراستها بتمعن فقد يتغير الحكم"^(٢).

إن ما ذكر في هذه المجلة، يشكّل اعترافًا واضحًا بأن ما قام به عارف النعماني ساعد في إعلان دولة لبنان الكبير والذي تعتبره فرنسا من إنجازاتها المهمة تجاه لبنان.

نلاحظ فيما ذكرناه اهتمام النعماني بالقضايا السياسية الوطنية، وخاصة قضية الاستقلال بصرف النظر عن أيّ خطر يترتب على ذلك، وقد استمر هذا الحس رغم الموقف السياسي التعسفي من جانب فرنسا بإبعاده قصرًا عن الساحة السياسية في لبنان. فظلّ نصيرًا وداعمًا ماديًا ومعنويًا للحركات التحريرية في البلاد العربية، كما ظل على اتصال دائم بأمين الريحاني^(٣) وشكيب أرسلان^(٤) من أجل صمود القوى الوطنية المناضلة في تونس والسودان والمغرب العربي^(٥).

=وبالفعل غادر باريس إلى سويسرا. واستدعت الشرطة عارف النعماني لمعرفة كيفية هروبه، فأجابهم: "إن شرطتكم أخرجته". راجع: محمد قره علي: مذكرات النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٦).

- (١) المصدر نفسه (مجموعة رقم ٢٠٩٦).
- (٢) ذكرت مجلة فلوريل الصادرة في باريس بتاريخ ١٩٢١/٥/٢١، ص ٤٩، السنة الثانية، عدد ٢١، ما يلي: "عارف النعماني ذلك المهم الأبرز بين رفاقه المعتقلين والذي تميز بثرائه، ومواقفه الإنسانية، ومساهماته المادية والمعنوية على الصعيد السياسي والاجتماعي والإنساني. وذكرت أن قضية محاولة النعماني استخراج النفط والمعادن، وإنشاء خط حديد الحجاز تعود فكرتها للألمان.
- (٣) أمين الريحاني: من الأدباء والمفكرين المسيحيين المتعصبين للقومية والوحدة العربية وداعٍ للقومية السورية.
- (٤) شكيب أرسلان: من رواد النهضة العربية الذين اعتنقوا الفكر الليبرالي، ودعوا إلى القومية والوحدة العربية.
- (٥) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني، الخاتمة.

الفصل الخامس أعماله الاقتصادية

إن الشأن السياسي والشأن الاقتصادي في حياة عارف النعماني لا يفترقان. لأن أغلب أعماله التجارية ومشاريعه الاقتصادية تأخذ منحى سياسياً وطنياً من أجل تأمين الإفادة للوطن. من هذا المنطلق تحولت مشاريعه الاقتصادية إلى أعمال تنموية وطنية.

قبل انتهاء فترة النفي التي قضاها بين كورسيكا وباريس، سمحت له السلطات الفرنسية سنة ١٩٢٢ بمغادرة فرنسا، شرط عدم دخول أراضي الانتداب الفرنسي (سوريا-لبنان). لذا وجد نفسه مرغماً على دخول المناطق العربية الواقعة تحت الانتداب الإنكليزي (مصر، فلسطين، الحجاز، العراق). وقام بمشاريع اقتصادية جديدة هناك، علماً بأن ظروف السّجن والنفي، أضرت كثيراً بنشاطه السياسي والاقتصادي في بيروت. بالإضافة إلى ما سبق وتعرضت له تجارته بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى كما ذكرنا...

إذن بسبب قرار المنع. فتح عارف النعماني مراكز وفروعاً لتجارته في البلاد العربية، كالإسكندرية التي جعلها مركزاً رئيسياً لذلك، وكانت الفروع في القاهرة وبيروت ومرسين وجدة وميلانو. أما مانشستر فكانت محلاً للتوريد. وفي ما يلي تفصيل تجارته والمشاريع التي قام بها في تلك الفروع والمراكز:

أولاً: أعماله في مانشستر

أسس عارف النعماني محلاً لاستيراد بالات القطن الخام من مانشستر، وعهد بإدارة المحلّ للسيد إدلبي. وبسبب الحرب العالمية الأولى، توقف السيد الإدلبي عن إرسال البضائع إلى لبنان. وغير اسم صاحب المحل حتى لا يعرف بأنه سوري لأن سوريا كانت تحت الحكم التركي الذي دخل في حالة حرب مع

ثانيًا: أعماله في مصر

بعد السماح لعارف النعماني بمغادرة فرنسا وعدم دخول أراضي الانتداب الفرنسي كما أشرنا سابقًا بدأ اتصالاته بالشيخ حسين والملك علي. وأصبح الوكيل المعتمد لهما في مصر، يؤمن كل ما يحتاجانه من خامات وقطنيات وخيطان وما شابه ذلك. لذا افتتح فرعًا رئيسيًا لتجارته في الإسكندرية، أشرف عليه شخصيًا، بمساعدة السيد وجيه النعماني الذي عمل كمحاسب للمركز وفيما بعد تسلم المحل المذكور سنة ١٩٢٤ وفتح عارف النعماني فرعًا آخر لتجارته في القاهرة، عهد بإدارته للسيد أنيس النعماني.

ثالثًا: أعماله في لبنان وتصادمه مع ويغان بسبب بنك الإصدار الوطني

كان متجر بيروت مزدهرًا قبل الحرب العالمية الأولى يقصده التجار من بغداد وتركيا وسوريا لشراء القطنيات بالجملة. وكان التاجر التركي كما يذكر السيد وجيه النعماني: "يكرّ زنّاره المرصوص بالليرات الذهبية ليدفع ثمن البضائع نقدًا". وبسبب ظروف الحرب العالمية الأولى خفّ العمل في المتجر، نتيجة توقف استيراد البضائع من مانشستر إلى بيروت. فاضطر عارف النعماني سنة ١٩١٠ إلى العمل بالتجارة الداخلية بسبب حصار جمال باشا للبنان. وانتقل إلى سوريا كما سبق وذكرنا واستورد القمح من السلمية إلى بيروت... وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد للمتجر ازدهاره بسبب حسن تصرف وكيله في مانشستر السيد الإدلبي الذي أعطاه أرباح المتجر عن سنوات الحرب كما أشرنا. ولكن انشغاله بالسياسة، ومن ثمّ نفهه إلى كورسيكا سنة ١٩٢٠ ومنعه من دخول لبنان وسوريا كما ذكرنا انعكس كل ذلك سلبيًا على متجره في بيروت. وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٢٣، تلقى عارف النعماني عفوًا من رئيس الجمهورية الفرنسية عن المدة الباقية له لتنفيذ الحكم فعاد إلى الوطن^(١) حيث استقبله على متن الباخرة ثلاثة من العسكريين الفرنسيين، الذين دهشوا حين رأوه، فقالوا له: "أهذا أنت!!" وربما كان قصر قامته وضعف بنيته لا يوحيان بقوة أفعاله ورزاقته شخصيته. وعلى رصيف المرفأ استقبلته الجماهير الشعبية التي حملته على الأكف إلى قصره في حوض الولاية في

(١) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات الفرنسية (وثيقة رقم ٨).



إنكلترا. وتابع السيد الإدلبي تجارته مع الدول المحايدة. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أطلع السيد الإدلبي عارف النعماني على سير العمل في المحل أثناء الحرب. وأعطاه الأرباح التي قدّرت بملايين الجنيهات (وهذا سبب غنى النعماني)، إضافة إلى ازدياد الطلب على بالات القطن التي كانت تشتري به ١٠٠ جنيه وتباع به ٣٠٠ جنيه^(١).

المركز الرئيسي: الإسكندرية
محل التوريد: مانشستر
مخازن وفروع:
مصر
بيروت
مرسين
جدة
ميلانو

عارف النعماني
بيروت
A. NAMANI
BEYROUTH

تلفرافياً: عارف النعماني
Télégramme: AREF NAMANI
صندوق البريد ٩٩

شكّل محل مانشستر المورد الرئيسي لثروة النعماني التي كانت السبب في فتح تلك الفروع الجديدة لتجارته في البلاد العربية والقيام بالعديد من المشاريع الاقتصادية، والأعمال الخيرية وتمويل حركات النضال الوطني.

(١) مقابلة مع عميد آل النعماني السيد وجيه نعماني أطل الله عمره، بتاريخ ٢٣/٣/١٩٩٦.

عاد عارف النعماني إلى بيروت أثناء حكم الجنرال ويغان. وبدأ التصادم بينهما. فالنعماني الذي خسر المعركة السياسية مع الجنرال غورو وسجن ونفي، وقضت فرنسا في معركة ميسلون على آماله بالاستقلال والوحدة، لن يقف مكتوف اليدين أمام سياسة فرنسا الاقتصادية والهادفة إلى استنزاف عرق الشعب اللبناني وتعبه وإفقاره بجني الأرباح الطائلة وتسريب ثروته من الذهب خارج البلاد.

بدأ بيرار بتأسيس بنك الإصدار لسوريا ولبنان^(٢). عارضًا مشروعه هذا على مجلس النواب لإقراره والموافقة عليه. فقام عارف النعماني بإعداد مشروع تأسيس بنك إصدار وطني، أساسه الذهب. وعمل دراسة تبين فوائده الاقتصادية على لبنان، كبديل لمشروع إصدار سوريا ولبنان الذي بدأ بإصدار عملة نقدية ورقية سورية، لتحل محل الليرة الذهبية العثمانية، وذلك بموافقة الانتداب الفرنسي.

وتلقى النعماني دعوة من وزير المال للاجتماع باللجنة البرلمانية المكلفة بدرس الموضوع لإبداء الرأي فيه. وعقد اجتماعًا مع مديري جميع المصارف العامة في دمشق وبيروت^(٣) وألف اللجنة^(٤) لمتابعة طلب تأسيس بنك الإصدار الوطني مع الحكومة ومجلس النواب مع دفتر الشروط، والتعهد بتغطية رأس المال بالذهب. واكتب كل واحد من مديري المصارف وأعضاء اللجنة بالمبلغ اللازم، على أن تعرض أسهم البنك على المواطنين للاكتتاب.

وقامت فرنسا بمحاربة هذا المشروع على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: بالحوار المباشر مع عارف النعماني الذي استدعاه الجنرال ويغان متسائلًا عن حجم الإمكانيات المادية المتوفرة لدى أعضاء اللجنة. فأجابه: "إن بمقدورنا إدارة أكبر منه". فسأله ويغان: "فلم لا نتعاون معًا؟" فردّ عليه:

(١) مقابلة مع السيدة عزيزة كامل النعماني البنا بتاريخ ١٤/٢/١٩٩٦.

(٢) الملاحق: عارف النعماني والوثائق اللبنانية (وثيقة رقم ١)

(٣) المدراء عن المصارف السورية واللبنانية كانوا السادة التالية أسماؤهم: مرقده وميشال شيحا وحبيب وجورج طراد ومصطفى عز الدين، ونجيب يوسف سرسق، والفرد سرسق. وكان بترو طراد مستشارًا فنيًا. راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).

(٤) تألفت اللجنة من السادة: مصطفى عز الدين ونجيب يوسف سرسق والفرد سرسق ومرقده وعارف النعماني وبترو طراد مستشار فني للجنة. (المصدر نفسه).

"إن الأمر لا يستحق ذلك". وسأله ويغان إن كان لا يزال حاقدًا على فرنسا بسبب النفي، فأجابه متجاهلاً قضية النفي قائلاً: «القضية قضية مصلحة وطنية».

وإمعانًا منه في تأكيد حقه بالمشروع، استهجن النعماني مناقشة ويغان للأمر، ورفض إشراكه في المشروع، لأنه لا يعترف بالاحتلال والتدخل الفرنسي للبنان، ولأن القضية وطنية ولا دخل لفرنسا بها. وعبر عن ذلك وبمتهى الهدوء بقوله: "لو أن جماعة من غير الفرنسيين طلبوا تأسيس بنك إصدار وطني للنقد الفرنسي، بماذا كنت تجيب؟" فأجابه ويغان بعصبية: "كلامك جنون وسخرية..". فنهض النعماني مودّعًا، ولحق به ويغان ليقول له بإصرار: "فكر بالأمر"^(١).

المرحلة الثانية: لجأت فرنسا إلى مهادنة النعماني مقابل مقاسمته رأس المال. فأرسلت بترو طراد طالبًا منه مقابلة بيرار. فرفض لأنه يعلم نوايا بيرار ولكنه عاد ورضخ للأمر بناء لإلحاح بترو طراد. وتم اللقاء بينهما في فندق بسول.. وحاول بيرار الدخول كشريك في المشروع على أن يترك للنعماني وأصحابه ٤٩٪ من رأس المال، وانتهى الاجتماع بالفشل.

المرحلة الثالثة: كشفت فرنسا عن نواياها العدائية تجاه المشروع عندما قام أوبوار باستدعاء عارف النعماني بواسطة عبد الله بيهم. فاستقبله ويده مطواة ينجر بها قطعة من الخشب (مما يدل على طابع العدائية) مستفسرًا عن مدى راحته في أجاكسيو (إشارة إلى قضية النفي) وعن جدّيته في متابعة المشروع، وعن نسبة النجاح المتوقعة له، وعن دراسته لكافة الحسابات وتقديرات الربح والخسارة. وركّز أوبوار على مصدر المال إذا كانت هناك رساميل حجازية متوقعة، فأجابه النعماني قائلاً: "إن الحجاز اليوم هو أشدّ احتياجًا لمن يغذيه بالرساميل، ومشروعنا يموله أولئك اللبنانيون الخمسة، ومن ورائهم غدا الشعب اللبناني". ولكن أوبوار لم يقنع بجوابه فعاود السؤال عن مصدر النصف مليون ليرة ذهب، وألمح إلى تردّده بتساؤله: في حال تفرّق بقية الأعضاء، ما هي ردود فعل النعماني؟ فوجد لدى النعماني إيمانًا مطلقًا بمشروعه، وصلابة وموقفًا جادًا للاستمرار مهما كانت الظروف. وقد أثار ذلك ضيق أوبوار الذي هدّد النعماني بالنفي إلى مدغشقر.

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).

عندما عاد النعماني للاتصال بأعضاء المشروع وجدهم قد اختفوا، وأنه منذ مغادرته منزل أوبوار أصبح تحت المراقبة، وغير مرغوب بوجوده في لبنان... فتوجه ليلاً إلى الناقورة، ودخل الناقورة الإنكليزية متوجّهاً إلى القدس فعمّان فالإسكندرية، حيث مكث هناك حتى سنة ١٩٢٦... (١).

والملاحظة الدقيقة لما ذكر عن لقاء (النعماني - ويغان - أوبوار) تأرجحت بين المهادنة والمقاسمة والتهديد... ومقابل رفض النعماني لكل العروض وعدم رضوخه وقلة اكتراثه لهيئة الدولة الفرنسية وتحديه للقوى الأجنبية الحاكمة والتي وصلت إلى حدّ التهور، سقط النعماني للمرة الثانية في مواجهة خاسرة مع فرنسا رغم كل الأماني والجهود المخلصة من جانب أعضاء المشروع لخدمة اقتصاد لبنان.

وهكذا استطاعت فرنسا من خلال بنك سوريا ولبنان (مؤسسة فرنسية) من سحب الذهب من أيدي اللبنانيين، فسيطرت سياسياً واقتصادياً على لبنان. وشرح النعماني ذلك مبيناً بعملية بسيطة جداً مدى الأرباح الفاحشة التي تسربت للخارج بواسطة البنك بقوله: "لقد كانت الليرة الذهبية (عند ظهور النقد الورقي السوري) بليرتين لبنانيتين فباتت بأربعين ليرة لبنانية. أما الستة عشر مليون ليرة ذهب (وهو ما كان يملكه لبنان قبل الانتداب) فقد أصبحت عام ١٩٤٨ نصف مليون وسنة ١٩٥٣ لم تزد على ربع مليون" (٢).

رابعاً: أعماله في مرسين

لم تتوقف مشاريع عارف النعماني رغم مشاكله مع ويغان وأوبوار واستمرت مع استمرار دورة الحياة، فكان يفتتح محلاً ويقفل آخر بهدف الاستفادة والإفادة. ولكن بقي دائماً مدى صدق ووفاء من تعامل معهم والظروف السياسية والاقتصادية المعيار والرهان على استمرار أي مشروع أو إنهائه، وهذا ما حصل بالنسبة لمحّل مرسين الذي اضطر إلى إقفاله... (٣).

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مقابلة مع وجيه النعماني بتاريخ ٢٣/٣/١٩٩٦.

خامساً: أعماله في حلب

افتتح عارف النعماني محلاً آخر في حلب، وسلم إدارته للسيد أنيس النعماني؛ ولكن ما لبث أن أقفله بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية (١).

سادساً: أعماله في الحجاز

تعود علاقة عارف النعماني بالأسرة الهاشمية إلى سنة ١٩١٦، والتي كانت تحكم الحجاز منذ أواخر القرن التاسع عشر حيث تولى الشريف حسين سداة الكعبة. وفيما بعد سمح له بإمارة الحجاز. فقام أولاده فيصل وعبد الله بالتصدي للبدو والدفاع عن الحجاز. وما لبث الشريف حسين أن أعلن الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٩١٦ من أجل الاستقلال فوحد الأمير فيصل نجل الشريف حسين القبائل العربية بمساعدة إنكلترا التي أمّدتّه بالمال والأسلحة. فاحتلّ العقبة، ودخل دمشق كما ذكرنا، وساعد الإنكليز في حربهم ضد تركيا.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت خيبة أمل الشريف حسين مع الحلفاء، إثر إعلان مقررات مؤتمر سان ريمو التي كرست انتداب فرنسا وإنكلترا للبلاد العربية فترك الأمير فيصل سوريا بعد هزيمة ميسلون متوجّهاً إلى إيطاليا، معترضاً على السياسة الفرنسية. وفي سنة ١٩٢١ توجّ فيصل ملكاً على العراق، بعد اجتماع تشرشل-فيصل في مؤتمر القاهرة.

خلال هذه الفترة انقطع عارف النعماني عن الاتصال بالأمير فيصل بسبب قضية مجلس إدارة جبل لبنان ونفي النعماني.

وبعد عودته من المنفى، اصطدم بويغان وأوبوار بسبب قضية بنك الإصدار الوطني. فهرب إلى فلسطين، والتقى في عمّان الشريف حسين سنة ١٩٢٣ وأصبح معتمداً لتجارة الحجاز كما ذكرنا. وأثناء وجوده في متجره بالإسكندرية قصده السيد حسين العويني الهارب من الاضطهاد الفرنسي في لبنان، فطلب من النعماني مساعدته في إيجاد عمل له... فسلمه متجره في جدة (٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠).

ولكن طموحات النعماني كانت أبعد من فتح فرع لتجارته في الحجاز. فقد كان يعيش بتفاعل تام مع الأحداث التي تجري من حوله والشائعات التي تتردد عن وجود معادن وبتروول في شبه الجزيرة. والواقع أن قضية النفط واستخراج المعادن، ومد سكة حديد، كانت في الأساس فكرة الألمان. وبدأ النعماني دراسة موضوع الحصول على امتياز لاستخراج النفط من الحجاز. وتلقى دعوة من الشريف حسين لزيارة مكة. والتقى الشريف حسين الذي استرجع معه هموم الأمة العربية بعد الحرب، ونكث الحلفاء بعهودهم ومواثيقهم. وصار الشريف حسين يخرج الرسائل التي كان يرسلها إلى نائب الملك البريطاني في الهند سنة ١٩١٨^(١)، والتي تظهر حرص الشريف حسين على مصداقيته مع شعبه، وتخوفه من الفتن إزاء نكث بريطانيا وعودها معه مما كان يضطره إلى الانسحاب وتعين البلاد التي يستحسن الإقامة فيها مع حرصه على الصداقة والولاء لبريطانيا. وفي ذلك ما يظهر أنه كان يشعر أن الحلفاء قد تخلّوا عنه بعد أن قضوا على الخلافة العثمانية، وأنهم كانوا يودون التخلص منه.

وتابع الشريف حسين رسائل العتاب الموجهة إلى وزير الخارجية البريطانية^(٢) ففي رسالة تساءل عن سبب تخلي بريطانيا عن العرب الذين لا يريدون إلا الاستقلال. وذكر نائب الملك البريطاني في مصر بوعود بريطانيا بأنها لن تبرم أي

(١) أخرج رسالة بعثها إلى نائب الملك البريطاني في الهند سنة ١٩١٨. يقول فيها: "متى تأكدت من عجزني عن الحصول على ما يؤمل من النتائج - يتحتم عليّ الانسحاب من الأمر لاعتقادي أن تعديل مقرراتنا المذكورة يؤدي إلى الإخلال بالغايات. فهذا يسقطني من ثقة بلادي. عندما يظهر عكس تلك المقررات التي أعلنتها. وأكون خدعت نفسي. مع ما يجز ذلك من اضطراب البلاد بالفتن. مما لا يفيدني. وإن كان لا بد من التعديل فليس لي سوى الانسحاب. وانكم لا ترتابون في أنني وأولادي من أصدقائكم، الذين لا يتغير ولاؤهم وإخلاصهم ثم يعينون البلاد التي تستحسن إقامتنا فيها للسفر إليها في أول فرصة". محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠)

(٢) وهذا نص بعض الرسائل:

"إن الضرورة تلجئني على البحث عن تأثير هذا الانقلاب السياسي الذي ضاعف حزن العرب مما اعترى عهودهم مع العظمة البريطانية خاصة والحلفاء عامة بشأن استقلالهم التام ببلادهم. واستفهام تلك العظمة يعين مآل تصريحاتها بتاريخ ٨ صفر ١٣٣٤ بقول نائب جلالة الملك بمصر بأن حكومة بريطانيا قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا لا تنوي إبرام أي صلح كان ضمن شروطه الأساسية، حرية الشعوب العربية وخلصها من الألمان والأتراك". راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠).

اتفاق ضمن شروطه حرية الشعوب العربية. وأعطى الشريف حسين للنعماني رسالة أخرى من وزير خارجية بريطانيا. أكد فيها تصميم بريطانيا على الوقوف إلى جانب العرب من أجل الاستقلال.

إن القراءة المتأنية لهذه الرسائل تظهر ضبابية العلاقة بين بريطانيا والشريف حسين الذي كان يحاول إيجاد المسوّغات لنكث الحلفاء بوعودهم. لأنه فقد القدرة على المبادرة واتخاذ المواقف التي تخرجه من مأزقه مع بريطانيا التي ظلت تلجأ إلى سياسة التسويف والمماطلة، تحسباً للمستجدات.

وكذلك قدم للنعماني رسالة أخرى موجهة من صاحب الجلالة ملك بريطانيا^(١) يهنئه فيها بانتصارات ولده في العراق، ويتهنئ لنجاح الجيوش العربية في توسيع نطاق المناطق العربية المحررة.

مقابل ذلك قام الحلفاء بإرسال مذكرة إلى مصطفى كمال في ٢٣ كانون الأول ١٩٢٢ لعقد صلح جديد معه، تاركين العرب وهم شركاؤهم في الحرب في حالة لا صلح مع تركيا. ورغم ذلك بقي العرب على موقفهم الموالي للحلفاء الذين استمروا في خداع العرب من خلال عقد الصلح المنفرد مع تركيا بضمان ألمانيا التكاليف الرسمية. فضيعوا على العرب حقوقهم في كيليكيا^(٢).

إذن شعر الشريف حسين بأن المستقبل غامض مع بريطانيا، ولكن الواقع لم يكن يعطي خيارات للجوء إلى القوة، بقدر ما كان يفرض الاستسلام لسياسة الأمر الواقع التي كان الحلفاء يحاولون فرضها على بلاد العرب.

وسط هذه التناقضات المبهمة، بدأ عارف النعماني البحث عن التغيير، ولكن خارج الواقع السياسي. فعرض على الشريف حسين مشروعه الاقتصادي الرامي إلى التنقيب عن البترول وإنشاء خط سكة حديد، يربط مكة بجدة والوجه بالمدينة. ولكن الشريف حسين خاف من التدخل الأجنبي، لأن أي مشروع لم يكن يتم دون

(١) جاء في مذكرة صاحب الجلالة البريطانية: أعرب عن سروري لانتصار ولدكم على العدو في أرض السودان، وأن جلالتم الملوكية بصفتم القائد للنهضة الشريفة لأجل تحرير العرب. وبصفتم الوالد للأربعة أنجال المظفرين تكون أسباب افتخاركم ورضاكم مضاعفة. وأنا أبتهج لنجاح الجيوش العربية وكذلك لمشاهدتي اتساع نطاق منطقة تحرير العرب. المصدر نفسه (مجموعة رقم ٢١٠٠).

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠).

معوثة أجنبية. فبدد النعماني مخاوفه بقوله: "أعين موظفًا أجنبيًا ثم أصرفه متى أشاء" (١).

فطلب الشريف حسين منه زيارة ابنه الأمير عليًا في الطائف، وعرض المشروع عليه والقيام بالإجراءات الرسمية مع الحكومة الحجازية لأخذ حق البحث والتنقيب والحفر، وتقديم شروحات تفصيلية حول المشروع..

وعاد النعماني إلى الإسكندرية بانتظار الجواب.. كان طبيعيًا أن يحظى مشروعه بالموافقة، نظرًا لمكانته عند الأسرة الهاشمية من جهة، ولمواقفه الوطنية من أجل التحرر والاستقلال من جهة أخرى. ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان، فلقد اندلعت الحرب الأهلية في الحجاز ونجد بين قبائل آل هاشم وآل سعود وآل رشيد. وتمكنت إنكلترا قبل الحرب العالمية الأولى من جمع هذه القبائل المتناحرة على السلطة في اتفاقية القطيف. وذلك لضمان عدم نشوب أي حرب ضد آل هاشم.

ولكن بعد انتهاء الحرب وإعطاء العراق للأمير فيصل، والأردن للأمير عبد الله والحجاز للشريف حسين، اشتدت المنافسة أواخر سنة ١٩٢٣-١٩٢٤ بين الأسرة الهاشمية وآل سعود، فغادر الشريف حسين جدة متوجهًا إلى عمان بعد معركة (الهدى) متنازلًا عن الملك لولي العهد الأمير علي (٢) ولكن عارف النعماني لم يهتم لهذا الحدث، لثقته بأن بريطانيا، لن تتخلى عن مساندة آل هاشم في هذه الحرب. فتوجه إلى جدة مع فريق العمل المؤلف من المهندس الفنلندي السير توماس هول (٣) ومساعديه. اهتدى المهندس إلى البترول الذي كان يتماوج على وجه الماء في منطقة (الوجه). وبعد التنقيب والدرس تبين للمهندس أن مصدر البترول هو (الظهران) الواقعة بيد آل سعود. فأشكل الأمر على النعماني لأن الحرب كانت ما زالت سجالًا بين الفريقين (٤).

(١) المصدر نفسه.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠).

(٣) السير توماس هول: مهندس فنلندي خبير بالبحث والتنقيب عن البترول، استقدمه النعماني من الهند إلى الإسكندرية فجدة براتب شهري مقداره ثلاثة آلاف ليرة ذهب. ولمساعديه بين ٥٠٠ و ١٥٠٠ ليرة ذهب. راجع محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٢٠٢).

(٤) المصدر نفسه.

واشتد القتال بين آل هاشم الذين يدين لهم بالود والولاء والسعوديين الذين لا يعرفهم مطلقًا. فتطوع الشباب العربي من الأردن وسوريا والعراق لحماية جدة من السقوط، واستعدادًا للمعركة الحاسمة.

وسقطت جدة في يد آل سعود زعماء الدعوة الوهابية (١) وانتقل حكم الحجاز الذي سمي (بالمملكة العربية السعودية) إلى الملك عبد العزيز آل سعود، وغادر الملك علي الحجاز متوجهًا إلى العراق الذي كان يحكمه آنذاك الملك فيصل بن الشريف حسين (٢).

هذه المستجدات السياسية الخطيرة والمفاجئة، كانت نتيجتها سلبية للغاية على عارف النعماني. فقد توقف عمل البعثة التي عادت من حيث أتت بعد أن أنفق عليها مبلغ ٢٥ ألف ليرة ذهبية. وضاع مشروع التنقيب عن البترول بخرائطه ورسومه وتجهيزاته الفنية والتقنية.

وبدأ بمراسلة وكيله في جدة السيد حسين العويني، للسماح له من قبل آل سعود بمتابعة مشروعه، وتلقى أجوبة منه تشير إلى بداية اتفاق مع آل سعود، ولكن

(١) الوهابية: حركة سلفية دينية إصلاحية طهورية، هدفها صفاء العقيدة والسلوك. تأثرت بابن تيمية. تزعمها محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٤ - ١٧٩٢) الذي انطلق في دعوته من مسقط رأسه نجد بعد جولة تعليمية له في الحجاز والعراق. ركزت الدعوة الوهابية على مفهوم التوحيد والعبودية لله، ومكافحة مظاهر الشرك والابتداع فيه، والاعتقادات الشعبية الخرافية، ودعت إلى الالتزام الحرفي بالقرآن وتبني السنة، ومنعت الدعوة زيارة القبور وإقامة القباب والمآذن للمساجد، ومنعت النذور والتشفع بالأنبياء والأولياء، وذلك بهدف إبعاد الدين عن الوثنية والحجارة، وطرق التصوف والمدارس السنية.

الدعوة الوهابية هذه، لقيت ترحيبًا من أمير بلدة الدرعية محمد بن سعود، فصار للدعوة الوهابية سلطة سياسية عسكرية، فاستولت على نجد والحجاز وتهامة. ولقد تصدى لها والي مصر محمد علي باشا بطلب من العثمانيين سنة ١٨١٤.

لقد ألهمت هذه الدعوى الكثير من الإحيائيين الإسلاميين للاقتداء بها، كحركة شريعة الله ضد المغول في الهند، ووجدت صداها في مراكش.

أنور الجندي: تراجم الأعلام المعاصرين، ص ٣٩٩ - ٤٠٠. علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب، ص ٨٤. رضوان السيد: محاضرة حول حملة نابليون بونابرت على مصر وبلاد الشام أقيمت في المؤتمر الدولي للجمعية اللبنانية التاريخية من ٤ - ٦ ك ١٩٩٨، نشرت في جريدة السفير ١٥ ك ١٩٩٩.

(٢) زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث ص ٣٠ - ٣١.

الحقيقة كانت عكس ذلك. فلقد فوجيء بخسارة امتياز التنقيب عن النفط، وإقبال متجره في جدة، علمًا بأن وكيله السيد العويني قال له: "نحن تجار ولسنا سياسيين.. نغير اسم صاحب المحل" (أي العويني بدلًا من النعماني)، ورغم رسالات التطمين والأمل من جانب الوكيل خسر كل مشاريعه هناك.

وهنا نتساءل: هل كان سبب ذلك سوء تخطيط وقلة وعي وسوء فهم الأوضاع السياسية آنذاك من النعماني؟ ولو سلّمنا بذلك وبأن هناك خطأ ما، وأن الموقف السياسي وراء ضياع امتياز التنقيب، ولكن ما علاقة محلّ جدة بالموقف السياسي؟ وحتى موقف الوكيل أيضًا يثير التساؤلات؟

تبقى هناك حلقة مفقودة تدور حول السبب الذي من أجله أخفى الوكيل عن عارف النعماني حقيقة الأمر كي يتمكن من تدارك وقوع تلك الكارثة.

وأجرى النعماني اتصالات بآل سعود في محاولة منه لمتابعة أعمال التنقيب عن البترول في الظهران والعمل في متجره في جدة خاصة وأن وكيله حسين العويني قد أصبح من المقرّبين لدى الملك السعودي. ولكن محاولاته باءت بالفشل. فاتصل بآل هاشم سنة ١٩٣٤ وخاصة الملك عليًا والملك غازي. ولكن محاولته فشلت أيضًا. ولقد تدخل سنة ١٩٤٩ بعض السياسيين اللبنانيين من أصحاب المروءة والنخوة العربية الأصيلة، كعبد الحميد كرامي وعبد الله اليافي وأحمد الداعوق، بتوجيه عريضة إلى الملك السعودي، موضحين مواقف عارف النعماني في سبيل القضية العربية، والأموال التي ساهم بها من أجل دعم قضايا التحرّر من الانتداب والعمل من أجل الوحدة العربية، ولكن تلك المحاولات كان مصيرها الفشل.

والخلاصة تظهر أن علاقة النعماني بالحجاز، كانت من منطلق أمانٍ مشتركة بالوحدة والاستقلال جمعته مع الأمير فيصل ووالده وإخوته، ثم اتخذت منحى اقتصاديًا يدور حول أعمال تجارية للتنقيب عن البترول. وفجأة وجد نفسه وسط صراع على النفوذ والسلطة بين آل سعود وآل هاشم أدى إلى انتهاء كل مشاريع النعماني الاقتصادية في الحجاز من المتجر إلى امتياز التنقيب عن النفط. فتعرض لخسائر مادية فادحة. ولم يعوّض عليه بأيّ مبلغ. إذن جميع محاولات عارف النعماني لاستعادة حقه بالتنقيب عن البترول واسترداد متجره في جدة والذي استولى عليه وكيله، قد باءت بالفشل.

سابعًا: أعماله في العراق

والواقع أن طموح عارف النعماني أسطورة قد يصدّقها العقل أو يرفضها. فالنفي لم يذله، وحتى الضربات والخسائر التي واجهت مشاريعه في لبنان وفي الحجاز، لم تثنه لحظة عن دخوله المرة تلو المرة تجربة التحدي. فكلما أخفق وخسر ازداد تحديًا وصلابة. إنه كطائر الفينيق ينبعث من النار بحياة متجددة.

ففي العراق، أقام عدة مشاريع منها: مشروع سدود نهر ديالا لزراعة القطن وشركة الطيران العراقية، والشركة الإسلامية للحجاج، وسد الحبانية، وفندق الكارلتون. بالنسبة لمشروع نهر ديالا، فقد قام النعماني بالتخطيط له أثناء نفيه في باريس، بالاتفاق مع الدكتور نجيب الأصفر ويوسف فرح وفرح وروفاثيل خليفة. وبعد حصوله على قرار العفو سنة ١٩٢٣، اتصل بالملك فيصل في العراق، وأرسل الدكتور نجيب الأصفر لتقديم الشروحات حول المشروع. ورفض الملك إعطاء الامتياز لشركة إنكليزية خوفًا من التحكم فيما بعد باقتصاد العراق. وتمت الموافقة بعد إعطاء الامتياز لتأسيس شركة ديالا في العراق على أن يكون المركز الرئيسي لها في لندن. أما سبب قيام المشروع، فيعود إلى رئيس حكومة العراق الذي قدّم أراضي زراعية للاستثمار لمدة عشر سنوات، على أن تُردّ للدولة فيما بعد، وذلك بهدف استصلاح الأراضي الزراعية المهملة وتحريك عجلة الاقتصاد العراقي، والمساهمة في مشاريع التنمية لجهة زراعة القطن. ولكن واجهت المشروع مشكلة الفيضان السنوي لنهر الفرات الذي يتسبب بإتلاف كافة المحاصيل الزراعية. فقام عارف النعماني ونجيب الأصفر بمشروع نهر ديالا لإقامة السدود، ومنع الفيضان^(١).

وبدأ الإعداد للمشروع، بالاشتراك مع خبراء إنكليز وذلك باقتطاع الأراضي الأميرية للزراعة. وإذا بأحد أعضاء شركة ديالا السير دنكوتون أنفيس يعيّن وزيرًا للدفاع في الحكومة الإنكليزية. فقام بمحاربة مشروع شركة ديالا، بحجة أن حجم الأراضي المقطعة، وحسب الامتياز، تزيد على مليوني فدان، وأنه خلال سبع سنوات يصبح العراق أغنى من مصر في زراعة القطن^(٢).

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٥).

(٢) المصدر نفسه.

والملاحظة الواعية لتحرك وزير الدفاع الإنكليزي آنذاك كانت تبشّر بتحديات قوية تجاه هذا المشروع الاقتصادي الحيوي للعراق. والذي يدخل في إطار التنافس الرأسمالي ضمن شركات إنكليزية تحتكر زراعة القطن في مصر، وتستولي على إنتاجها لصالح معاملها في ولاية مانشستر. فظهور شركات مختلطة أمثال (شركة ديبالا) بدأت تثير قلق المسؤولين الإنكليز، إذ ربما أغرق العراق السوق العالمي بقطنه وربما باعه بسعر أرخص، مما يضر بالاحتكار الإنكليزي لهذه السلعة. أضف إلى ذلك أن اهتمام عارف النعماني بهذا المشروع لم يكن من باب المصادفة، لأنه يرتبط مباشرة بمجال عمله في تجارة القطن مع إنكلترا. إذن فهدفه واضح في العمل على ضرب الرأسمالية الإنكليزية المحتكرة لإنتاج القطن المصري، وتفويت الفرصة على الإنكليز لاحتكار إنتاج القطن العراقي.

وظهر التحدي السافر بين إنكلترا وعارف النعماني بعد ثلاث سنوات من استصلاح الأراضي وازدهار زراعة القطن العراقي وجر المياه من نهر ديبالا، حيث بدأ المشروع يؤتي ثماره. وفجأة انخفض مستوى المياه في النهر الذي يركز عليه امتياز المشروع، وذلك بشكل لم يحصل في تاريخ المنطقة، فهرب المزارعون إلى بغداد، وانطلقت التظاهرات تهتف بسقوط مشروع نهر ديبالا^(١).

وسارع عارف النعماني للاتصال برئيس الشركة نورتن كريفس ووزير الخارجية الإنكليزية المستر إيمري. وأبدى الملك أسفه لحراجة الموقف إزاء طلبه من النعماني التنازل عن الامتياز، بقوله: "إن أخصام المشروع أقوياء".

وتم التخلي عن الامتياز، فعادت مياه نهر ديبالا إلى مستواها الطبيعي! ولقد تبين للنعماني فيما بعد أن وحدات من الجيش الإنكليزي المرابط في كركوك قد كسرت بعض سدود منابع النهر وحولت المياه إلى الصحراء وحركت المزارعين لإسقاط المشروع^(٢).

تجدد الملاحظة هنا أن وقفة التحدي لعارف النعماني تجاه دولة عظمى كإنكلترا. ومواقف التحدي والعناد والصلابة قدره الذي لم يكن ليحيد عنه مهما

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٥).

(٢) المصدر نفسه.

كلفه الأمر. فهو تارة يتحدى فرنسا^(١) وطوراً يجابه إنكلترا ويتحداها... بقصد أو بدون قصد، يدفعه إلى ذلك طموحه كرجل أعمال يملك رأس ماله، ومن حقه كإنسان عربي الإفادة والاستفادة من خيارات بلاده، وعدم تركها للمستثمر الأجنبي الذي يستفيد ولا يفيد إلا فيما ندر، وذلك في ظل هيمنتهم على الحكام العرب المستضعفين.

ورغم فشل مشروع نهر ديبالا بقي عارف النعماني على علاقته الجيدة مع الملك فيصل. وفي إحدى اللقاءات وتفسير لما حدث بالنسبة للمشروع، طلب الملك منه قراءة رسالة خطيرة وردت إليه سنة ١٩١٩، تُظهر مدى أطماع الدول الأجنبية في البلاد العربية. وفحوى الرسالة يدور حول مشروع مقدم من مهندس إنكليزي^(٢) اكتشف وجود نهر عظيم كان يجري في الصحراء الكبرى في الأعصر الغابرة^(٣)، وقد اندثر هذا النهر تحت رمال الصحراء، ولا يزال يجري تحت البحر الأحمر ويتشعب وسط أهرام الجيزة، ويترك شبه الجزيرة ليغيب في المحيط الهندي عند جزيرة سومطرة.

أما مراحل تنفيذ المشروع، فتبدأ بعد تفجير المياه (لا يذكر في أي نقطة) حيث تتكون بحيرة عذبة بفعل التبخر، وتزداد المياه فيها حتى تبلغ الخليج الفارسي تحت مصب نهر الفرات. وتتغذى هذه البحيرة بطريقتين: الطريق الأولى: قرب (المدينة) باتجاه الشمال إلى (اليسرى) ثم صحراء سوريا و(عمارة عناز) و(الوفرة) و(كزينة). والطريق الثانية: تبدأ من جبل (ميزنيا) ثم صحراء سوريا شرقاً حتى تبلغ البحيرة، وجنوباً إلى (ضفير) و(كزينا حفين) وتتصل بخليج الفرس واقترح المهندس تسمية البحيرة باسم بحيرة الملك فيصل^(٤).

(١) أولاً: مجابهة النعماني للجنرال غورو بالنسبة لقضية مجلس إدارة جبل لبنان ونفيه إلى كورسيكا. ثانياً: مجابهة النعماني للجنرال ويغان بالنسبة لقضية مصرف الإصدار الوطني وهربه بعد التهديد بنفيه إلى مدغشقر.

(٢) اسم المهندس الإنكليزي واطسون أوف كيلوريغان، من بورت لاند - إيوجون بالولايات المتحدة، شارع نمرة ٤٠ يونيون أوف تورت.

(٣) راجع نظرية كايثاني عن موطن الجنس السامي.

جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٤٨ - ١٦٦.

(٤) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٦ - ٢١٠٧).

إن الدراسة الدقيقة لمضمون هذه الرسالة، توضح مدى اهتمام الإنكليز بالبلاد العربية من أجل جني الأرباح، والهيمنة السياسية والاقتصادية، حيث اشترط المهندس كمكافأة على ظهور المياه أخذ إنتاج نصف ميل من الأراضي على ضفتي النهر كل ثلاثة أميال، تكون مناصفة مع الحكومة لمدة اثنتي عشرة سنة. وقسم المهندس المكافأة على ثلاثة مراحل تبدأ بـ ١٠٪ لمدة تسع سنوات، وتنتهي بـ ٢٠٪، ثم ٢٠،٥٪. وهناك ١٠٪ لفقراء المنطقة. وطالب المهندس أيضًا بـ ٢٠ فدانا في مصر لبناء منزل معفى من الضرائب وتأمين الحماية لفريق عمله، وهو من الأميركيين، وأن يؤمن له الخدم والآلات لزوم المشروع...^(١)

وعندما عرض الأمير فيصل هذه الرسالة على أفراد الحاشية، اتهمه البعض بالشعوذة والسذاجة، وهذا أمر طبيعي لأن العرب كانوا على درجة من السذاجة والبساطة تمنعهم من تصديق مثل هذا الكلام. فكيف بالاعتقاد بوجود آبار بترول سيكتشفها الإنكليز فيما بعد، وتكون السبب في تحويل شبه الجزيرة العربية القاحلة الجرداء إلى روضة غناء...

ولعل المهندس كان يهدف إلى البحث عن البترول تحت ستار اكتشاف ذلك النهر... المهم أن هذه الرسالة، كما أشرنا، أجابت على كل تساؤلات عارف النعماني حول سبب فشل مشروع نهر ديار في العراق... والواقع أن فشل هذا المشروع لم يكن يعني عند عارف النعماني نهاية الكون لأن عارف النعماني والتحدي صنوان لا يفترقان كما أشرنا. لذا نراه يخطط لمشاريع أخرى، كإنشاء شركة طيران عراقية تربط البلاد العربية بعضها ببعضها الآخر. وجانب الأهمية في المشروع أن العراق يرتبط بخطوط التجارة مع الهند والشرق الأقصى. وبالتالي تقوم شركة الطيران بربط الشرق الأقصى، والهند بالبلاد العربية، علمًا بأن بريطانيا ربطت العراق والهند بحاكم بريطاني واحد، وهو بذلك يحاول توظيف الرساميل العربية بمشاريع إنمائية تربط آسيا بأوروبا.

وعرض عارف النعماني مشروعه على رئيس الوزراء العراقي آنذاك السيد ياسين الهاشمي ولاقى كل تأييد وقبول... وانتقل عارف النعماني للتخطيط

(١) المصدر نفسه.

لمشروع الحبانية، وهو عبارة عن سد عظيم لتوليد الكهرباء وري الأراضي الزراعية. وقام أيضًا سنة ١٩٢٨ بإعداد لمشروع نقل الحجاج العراقيين والأعاجم من بغداد إلى جدة ذهابًا وإيابًا وسميت بالشركة الإسلامية للحجاج. هذه الشركة كان معترفًا بها رسميًا، وتقدم ضمانات مالية بنسبة ٥٠٪ من قيمة بطاقة السفر كتأمين يعاد إلى الشركة بعد عودة الحجاج وتأديتهم مناسك الحج، وكان على كل بطاقة سفر ختم الشركة، وختم مراقب الحكومة العراقية.

ولا شك أن سمعة النعماني التجارية وصدقه في التعامل مع أجهزة الدولة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، كل ذلك أعطاه حق ترؤس الشركة وإدارتها وتوقيع كافة معاملاتها^(١).

وتتابعت مشاريع عارف النعماني في العراق والتي اتسمت بالذكاء الحاد والجرأة في المبادرة والاندفاع دون خوف من المستقبل أو تردد أو ارتباك. فهو لا يؤمن بالفشل بل بكيفية خلق فرص العمل واقتناصها، وتوظيف كل طاقاته المالية والمعنوية من أجل أهدافه الاقتصادية. فقام بشراء أو تيل الكارلتون في بغداد بعد أن علم بظهور النفط في كركوك وذلك لاستقبال المهندسين الأجانب أو الخبراء العاملين في استخراج النفط. ولكنه استبق الحدث فأقفل الفندق سنة ١٩٣٢ وكان من أرقى الفنادق، وهو مخصص لاستقبال رجال الدولة في العراق وإعداد الولايم لهم^(٢)...

وما كادت هذه المشاريع تتحقق وتزدهر، حتى حدث انقلاب عسكري سنة ١٩٣٦ أطاح برئيس الوزراء السيد ياسين الهاشمي^(٣) ففضي على كافة مشاريع عارف النعماني.

(١) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات - العراقية (وثيقة رقم ١).

(٢) مقابلة مع وجيه أنيس النعماني بتاريخ ٢٣/٣/١٩٩٦.

(٣) قضية الانقلاب العسكري تعود إلى الأوضاع السياسية التي كانت سائدة آنذاك. والتي ترتبط بتسلم الملك فيصل عرش العراق لقاء معاهدة ١٩٢٢ والتي تنتهي فور قبول عضوية العراق في عصبة الأمم. ولكن ذلك أدى إلى ثورات شعبية، ضد الامتيازات البريطانية في شتى مرافق العراق، وضد السياسة الضريبية للدولة وسلطات شيوخ القبائل، وفساد موظفي العهد التركي، وزادت المطالبة بالإصلاح، وظهر التحالف السني الشيعي من أجل التخلص من الفوضى الداخلية والحكم الإنكليزي. مقابل ذلك عمل الملك فيصل على تنظيم العراق وتوحيد أبنائه. ولكن بعد وفاته=

ثامناً: أعماله في إيطاليا

افتتح عارف النعماني سنة ١٩٢٧ متجراً في ميلانو بإدارة السيد نبيه النعماني، لتجارة أقمشة الخياطة وخاصة الدنتيل... وذلك بسبب غزو البضائع الإيطالية للأسواق العربية... ورخصها مقابل ارتفاع أسعار البضائع الإنكليزية. فصارت بالة القطن تباع بخمسين جنيهاً في إيطاليا بدلاً من مئة جنيه في إنكلترا... ولكن عارف النعماني اضطر إلى إقفال محل ميلانو بسبب مزاحمة البضاعة الإسبانية ورخصها مقابل ارتفاع أسعار السلع الإيطالية وكسادها حتى في مصر... (١)

نهاية عارف النعماني الاقتصادية

وهو الملك عن عرش التجارة العالمية منذ سنة ١٩٢٧... والواقع أن ثمة مشاكل حصلت بينه وبين وكلائه في محل مانشستر من أبناء الإديلي. إضافة إلى طلبه كمية كبيرة من بالات القطن من محل مانشستر، بأسعار عالية ومضاربة البضائع الإيطالية والإسبانية الرخيصة السعر لها... فأصبح سعر مشتري بالة القطن من مانشستر ١٠٠ جنيه مقابل مبيعها ٧٠ جنيه أي بخسارة ٣٠ جنيهًا (٢). وبدأت الشركة الإنكليزية المطالبة بالأموال المترتبة على النعماني، فحاول الاتصال برئيس حكومة العراق السيد ياسين الهاشمي للحصول على مال يخوّله الذهاب إلى إنكلترا لشرح حقيقة الموقف (٣).

أثناء ذلك زار المستر جن (الممثل للشركة الإنكليزية التي يتعامل معها النعماني) بغداد سنة ١٩٣٠، وتضايق لأنه لو علم بذلك لآتى إلى بغداد وشرح له حقيقة آل

=سنة ١٩٣٣ تسلّم الملك غازي الحكم، فبدأت الأوضاع الداخلية بالتوتر نتيجة انشغال الساسة بجمع الثروات بمشاركة الشركات الأجنبية، فانتشرت الرشوة في دوائر الدولة. وبدأت الصحافة تشنّ الهجمات الانتقادية بسبب تدخل رجال العشائر والجيش في أمور السياسيين وتسابق رؤساء الأحزاب والشخصيات على المناصب في الدولة. وازداد انتقاد المجلس النيابي للحكام. فظهرت اضطرابات سنة ١٩٣٥ والتي عرفت بحركات (وسط العراق). فقام الجنرال بكر صدقي بانقلاب عسكري ضد حكومة ياسين الهاشمي. وتسلم الحكم حكمت سليمان الذي كان على خلاف مع ياسين الهاشمي وكان المستفيد والمخطط غير المباشر لذلك بريطانيا.

راجع زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(١) مقابلة مع السيد وجيه النعماني بتاريخ ١٩٩٦/٣/٢٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الملاحق: عارف النعماني ومراسلات العراق (وثيقة رقم ٤).

الادلي ولأقنعه بأنه لم يعد يملك الأموال الطائلة كما ذكروا له (١). وأشار الأقرباء عليه بإعلان إفلاسه، ولكنه رفض، وانتهى النعماني اقتصادياً بين مشاكل متجر مانشستر والشركة الإنكليزية وأبناء الإديلي وبين انتظاره معونة ياسين الهاشمي، وتأخر مراسلات أقربائه في العراق الذين كان يطلب منهم "كلمتين يخلصانه من حيرته، وضيقه، لجهله بما يحصل في بغداد" (٢). وبدأت الشركة الإنكليزية المطالبة بأموالها... فقامت بالحجز على ممتلكاته. فعرضت القصر بالمزاد العلني. فاشتراه أحد تجار الخضار وما لبثت الدولة أن استأجرت وحولته إلى مدرسة رسمية للإناث (٣). ولم يكن تدهور أسعار

(١) الملاحق: عارف النعماني ومراسلات العراق (وثيقة رقم ٣ وثيقة رقم ٤).

(٢) الملاحق: عارف النعماني ومراسلات العراق (وثيقة رقم ٢).

(٣) قصر عارف النعماني: من قصور مدينة بيروت شُيد في أوائل القرن العشرين. يقع في منطقة البسطة التحتا مقابل قصر الخرسا، ومنزل الرسام مصطفى فروخ سابقاً، ومنزل آل عضوم. يحتل القصر زاوية على مفترق طريقين: الطريق الأولى إلى الجانب الغربي للقصر أي عند المدخل الرئيسي، وهي باتجاهين: شمالاً إلى منطقة ومدرسة حوض الولاية أو المدرسة العسكرية العثمانية فمنطقة برج أبي حيدر. وجنوباً تتجه إلى منطقة قبر الوالي أو الباشورة فالإطفائية حالياً. والطريق الثانية وتشكّل الحدود الشمالية الجنوبية للقصر وتتجه نحو البسطة التحتا التي تمتد شمالاً إلى البسطة الفوقا وجنوباً إلى قبر الوالي أو الباشورة. المدخل الأول للقصر عبارة عن بوابة حديدية عريضة مخزّمة بنقوش ورسوم مختلفة، تفضي إلى بركة يحيط بها من اليمين والشمال سلاسل عالية بارتفاع حوالي الثلاثة أمتار تلتقي عند باحة تشكّل المدخل الثاني للقصر الذي تحيط به الجنائن من جميع جهاته. حيث نجد في وسط الجنية الرئيسة شجرة أرز واحدة يحيط بها بعض أشجار الصنوبر... أما القصر فيتوسط هذه الجنائن، وهو عبارة عن بناء مؤلف من طابقين (دوبلكس) الطابق الأول يتألف من دار يحيط بها عدة غرف جدرانها ملوّنة برسوم الأزهار وأغصان الشجر، وفوق الأبواب آيات قرآنية، والسقف مزخرف وملوّن ومذهّب. يتصل الطابق الأول بالطابق الثاني بدرج رخامي أبيض حلزوني الشكل ينتهي إلى بهو صغير يفضي إلى الدار التي يحيط بها مجموعة من الغرف، والتي لا تقلّ عن الطابق الأول فخامة وروعة في الرسم، وأيضاً في تخطيط الآيات القرآنية فوق كل باب... تحوّل القصر بعد انهيار تجارة عارف النعماني إلى مدرسة رسمية (مدرسة الإناث الأولى الرسمية). هذا القصر تعرّض للتشويه من قبل الدولة بحجة توسيع الطريق فقطعت شجرة الأرز الوحيدة وتحولت إلى مقاعد للطالبات، علماً بأن البيوت الملاصقة بقيت على حالها... مما أدى إلى تشويه معالم القصر... وفيما بعد هُدم القصر في السبعينات وأعيد البناء بشكل هندسي عاديّ جداً وبقي مدرسة للبنات. واللافت للنظر أن المدرسة، وخاصة إن كانت للإناث، فمن الطبيعي أن تكون بعيدة عن المحلات التجارية، وعلى الأقل مسوّرة أسوة بالمدارس الراقية. الغريب أنه حتى بعد أن أعيد البناء نفاجاً بمحلات لا حصر لها لبيع الأثاث العتيق، مما شكّل مع هدم قصر الشيخ عبد القادر الخرسا أيضاً الذي شُيد مكانه بناء سكني عاديّ ظهور محلات للأثاث القديم، فأدى ذلك إلى استحداث سوق لبيع المفروشات القديمة. فأين مما ذكرت تراث مدينة بيروت، وماضي بيروت، وأهل بيروت، قصر النعماني الذي شهد تشكّل الوفد إلى المؤتمر=

البضاعة والخسائر المادية فقط وراء خسارة محلات عارف النعماني، وإنما قيام فرنسا وإنكلترا بمحاولة إحباط وعرقلة كافة مشاريعه في العراق وبيروت والحجاز أملاً بالوصول إلى إذلاله ونهب ماله وإفلاسه والقضاء عليه مادياً ومعنوياً. . . مرة ذلك أن النعماني لم يكن في تطلعاته الاقتصادية، ذلك الإنسان العادي المحصور ضمن محيط وطنه لبنان فقط، بل كان رجلاً أكبر من الوطن، تحرك عالمياً ودخل في مشاريع اقتصادية متحدية أقوى دولتين (فرنسا-إنكلترا). ورغم خسارته المتلاحقة لم ينكفئ أو يتراجع بل اختار السقوط الصاعق لأن كل مشاريعه كانت بمثابة الصواعق على كل من حاربه وعمل على القضاء عليه.

الفصل السادس أعماله الثقافية والإعلامية

وكما قدّم عارف النعماني حياته وماله من أجل القضايا السياسية والاقتصادية في لبنان والبلاد العربية أهتم أيضاً بالقضايا الثقافية والتعليمية في بلاده وذلك من منطلق إيمانه بالفكر الخلاق، والعلم المؤدي إلى عبور تخوم الجهل المتفشي بين الناس، وبأن مفتاح الحياة الكلمة التي توصل إلى الحقيقة في كل المجالات. لذا ساهم بماله من أجل التعليم الخاص في بيروت وكافة المناطق اللبنانية، فتبرع بمبلغ خمسمائة ليرة ذهبية لمدرسة الشيخ عباس، وهي من المدارس الخاصة التي نالت شهرة واسعة بين أبناء مسلمي بيروت في أوائل القرن العشرين^(١).

وتبرع عارف النعماني بمبلغ مماثل لإنشاء مدرسة الفاروق المقاصدية في منطقة الطريق الجديدة في بيروت، من أجل تعلّم أبناء تلك المنطقة من الفقراء والمتوسطي الحال. خاصة وأن المنطقة آنذاك كانت عبارة عن تلال رملية مليئة بنباتات الصبار. . . وتشكو الفقر وإهمال الدولة. . . فقدّم المبلغ لإدارة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية^(٢) بواسطة السيد وفيق النصولي^(٣). ولم يقتصر اهتمامه على ذلك بل شارك في الدعم المادي للعديد من مدارس لبنان الإسلامية والمسيحية، ونذكر على سبيل المثال ثمن بالة من القطن قدّمه كتبرع لإحدى مدارس الراهبات حيث كان ثمن البالة، آنذاك يوازي ثمن بناية^(٤). وساهم أيضاً في إرسال الطلاب اللبنانيين لاستكمال دراستهم في مصر وفرنسا، كما حدث

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).

(٢) جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية: تأسست في بيروت سنة ١٢٩٦هـ وضمّت وجهاء مدينة بيروت الذين اهتموا بالشأن المعيشي والتربوي لسكان بيروت وذلك من خلال إنشاء العديد من المدارس الخاصة. راجع: الفجر الصادق لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية.

(٣) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).

(٤) مقابلة مع الدكتور أسامة عانوتي، بتاريخ ١٩٩٦/٤/٨.

= السوري الأول ١٩٢٠ والذي استقبل الأمير فيصل. . . وفيما مضى كان يستقبل الولاة الأتراك لبيروت. . . فأين تاريخ مدينة بيروت، وهل يعقل أن يندثر البشر وأيضاً الحجر؟ وأن يندثر معهم تاريخ وتراث أهل بيروت؟
راجع: د. فاطمة قدورة: محاضرات بيروت. . . تراث وحضارة، ص ٢٠.

بالنسبة للسيد عمر الفاخوري وتوفيق فايد... (١).

ولعارف النعماني مساهمات مادية في حقل الصحافة والإعلام. فلقد ساعد ماديًا في تأسيس جريدة الأحرار لصاحبها جبران التويني والتي ظهرت سنة ١٩١٩^(٢)، وذلك رغبة منه في نشر الوعي الفكري بين الناس وكشف ألعيب فرنسا ومخططاتها في لبنان. ومن يساندها ويؤيد سياستها من حكام لبنان ورؤسائه. ونلاحظ ان هذه الصحيفة قد عالجت قضية مصرف سوريا ولبنان وتحويل العملة الذهبية إلى ورقية، وأيضًا قضية الثورات ضد الحكم الفرنسي، ولو من خلال صور كريكاتورية كانت غاية في النقد اللاذع للسياسة الفرنسية في لبنان^(٣).

أعماله الاجتماعية وأبعادها الدينية

إن الذات الانسانية لدى عارف النعماني، تتوهج ببريق خاطف يسلط الأضواء بقوة عليها، فتصرف التفكير عن بقية النواحي لديه، لانها تخرج عن دائرة مألوف البشر في التصرف، وتصل إلى حد لا يقبله العقل في تموجها وعلوها وتحرقها مع مشاكل البشر..

فنفحة الخير والعطاء المادي صلاة ذات طقوس لا يدركها إلا القلة من البشر الذين عرفوا القيم الروحية الإنسانية. نحن نؤمن بعظمة الروح لدى الناس المميزين أمثال عارف النعماني لذا نحاول في تعاملنا مع تكثفها بشكل إنسان، أن لا نخدش أو نوذي سموها المميز فوق مستوى طبائع البشر، محاولة منا لأبعادها عن الأغراض الدنيوية الرخيصة، والتي يحلو لبعض أصحاب النفوس الحاقدة باتهام هؤلاء المميزين بالبحث عن الشهرة والزعامة والمصالح الاقتصادية. من هذا المنطلق نجد أن أعماله الاجتماعية تأخذ منحى دينيًا بطابع رمزي يظهر من خلال مساهمته في تغذية الحركات الوطنية بما استطاع من أموال، كمساهمة صغرى منه بالجهاد الأكبر مع العدو، ودعمه المادي المستمر للجوامع والكنائس في بيروت، وصرفه المبالغ المادية الضخمة من أجل الأعمال الاجتماعية دون خوف من فقر أو

(١) الوثائق اللبنانية وثيقة رقم (٢) ورقم (٣) قدّما لنا المحامي والمؤرخ الأستاذ عبد اللطيف فاخوري بتاريخ ١٩٩٧/١٠/٢٨.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).

(٣) جريدة الأحرار - ميكروفلين - من الجامعة الأميركية.

شح.. ونجده يجلب القمح من سوريا إلى لبنان بسبب المجاعة التي حصلت اثناء حكم جمال باشا التركي، ويوزّع مبلغ ٤٥ الف ليرة مصرية على العائلات البيروتية. ويساهم في ترميم القرى ومساعدة سكان أرواد.. ويقدم الاموال إلى الهيئات الصحية العاملة من أجل مكافحة مرض السل في لبنان، ويساعد بعض العائلات البيروتية في ضيقها كآل سلام وآل العريسي وآل العويني^(١).

ويتبرّع لدفع دية قتيل، قتل لأسباب شريفة^(٢) ويذكر عارف النعماني الله في بحبوحته، ويشعر بأنه كلما أحسن وتبرع بماله أفاء عليه الله من كرمه أضعافًا أضعافًا. فلا يهمه ما سمع من شتم الاغنياء البخلاء وسبه بسبب كرمه الحاتم طائي. ولطالما كادوا له، ولكنه لم يأبه ولقد لُقّب (بالمحسن الكريم)، وسماه الناس لإسرافه في الاحسان (بالمحسن المجنون)، ولكنه كان يقول في ذلك: "يشفع لي في هذه الصفة قول الإمام علي (رضي): جنونان لا أخلاقي الله منهما: الشجاعة والكرم". وهكذا نجد أنه أصبح نموذجًا يضرب به المثل في الكرم والعطاء.

ويظهر البعد الايماني في عمله الاجتماعي عندما تدهورت أحواله المادية وحجزت الشركة الانكليزية على ممتلكاته وصادرت كل ما حوى محله التجاري من دفاتر وأوراق. فاحتفظ بدفتر واحد رفض اعطائه للشركة.. وفيما بعد تبين بانه سجل باسماء العائلات والاشخاص الذين كان يمدّهم النعماني بالمال بصورة مستمرة وسريّة^(٣). لقد عرف الله في غناه فاعطى واحسن، وعرف الله في ضيقه ومصائبه وغدر الناس به، ومكايدة القواد والزعماء، وإنكلترا وفرنسا له في كافة مشاريعه الاقتصادية. ورغم ذلك بقي صامدًا مكابرًا مؤمنًا بأن الحياة ليست بداية ونهاية بل دروب تجدد وعطاء وعمل وابداع. وحتى عندما ذهب المال بقي ذكر

(١) مقابلة مع عبد الرحمن عارف النعماني بتاريخ ١٩٩٧/٧/١١.

(٢) فيتذكر النعماني سنة ١٩٢٠ الشاب من اهل الدامور من آل الغريب عندما قتل مواطنًا لأسباب شريفة. حيث أقامت زوجة القاتل الدعوى عليه وحكم عليه بالاعدام. واتفق آل الغريب على دفع دية لزوجته وجمع أهل المنطقة ٤٠ ليرة ذهبية، وزارني وفد من الكرام طامعين في كرمي. وعلمت أن المحاكمة بعد ثلاثة أيام وعلمت اني مهما اعطيتهم لم يتمكنوا من اكمال المبلغ، فقلت كم هو المطلوب فقالوا ٢٦٠ ليرة ذهبية فانقدتهم المبلغ واسقطت المرأة دعواها، ونجا الشاب من حبل المشنقة. محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).

(٣) مقابلة مع د. اسامة عانوتي بتاريخ ١٩٩٦/٤/٨.

الله في ذاته متجليًا بالصبر على قضاء الله وقدره... ربما كان مؤمنًا بأن الله أعطاه
وان الله أفقره وفي كلتا الحالتين تذكر نعم الله عليه فاغدق من نعمه إلى حد
الجنون، وتذكر الله في ضيقه فألبسه ثوب الصبر...

ولكن ليس كل ما ذكرناه هو السبب في تدهور أوضاعه المادية، فهو يحاول
بجهد وضنك أن يحبس في أعماق ذاته الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ما آلت إليه
أحواله المادية من تردّد وقصور... "مخافة أن تسود وجوه بيضاء، وتنزل العمالة
إلى وهدة الاقزام"^(١) ويبقى الصمت الحزين، يلقي بظلاله السوداء على الحقائق
التي اخفاها عارف النعماني بين ثنايا روحه. مكتفيًا بالايان بالله سبحانه وتعالى
الذي أسبغ على روحه نعمة الرضى والطمأنينة، بعد أن ذهب العمر وفني الشباب.

الخاتمة

نستخلص مما تقدم أن عارف النعماني كان رجلًا مخلصًا من رجالات لبنان
الأبرار، ورمزًا هامًا من رموز الوطنية وأحد أعمدتها الشامخة.

لم يكن صاحب نظريات سياسية أو اقتصادية. لقد كان واقعيًا فعليًا وانفعاليًا،
حيث قدّم لنا مواقف عصيّة على الابتذال والوصولية والنفاق. من أجل تحقيق
طموحات ورؤية سياسية واقتصادية، سعى لتفعيلها وخلقها من خلال تلك
المواقف العنيدة الصلبة، والجرأة النادرة في قول الحقيقة وإثباتها وإعلانها...
وهنا كانت إبداعية شخصية عارف النعماني...

- فسياسيًا وضع يده على مسألة حساسة تتعلق بتميز الكيان اللبناني في علاقته
مع الدول العربية وذلك من واقع تعدديته الدينية وتنوع الولاءات السياسية واختلاف
الثقافات فيه...

لقد حاول السياسي المخلص والوطني الكبير، المنسجم مع نفسه وطموحاته
السياسية، والذي آمن بثوابت هذا الموقف الوطني، الدفاع عن إيديولوجيته بكل ما
أوتي من قوة وجهد، باذلاً الذات والمال، انطلاقًا من إيمانه باستقلال لبنان
وسيادته، وتمسكه بالحريات العامة. وكان تحركه بعيدًا عن الطائفية والمذهبية
يعمل بحس ونهج وطني مسؤول، ولكن جهوده كلها فشلت، وفشل معها لبنان
الذي لا يزال حتى يومنا هذا يتخبط في حروب أهلية دموية طاحنة، نتيجة المعاناة
المستمرة لواقعه المميز الفريد بين الدول العربية.

- واقتصاديًا يعتبر عارف النعماني من عمالقة جيل التأسيس في النهضة
الاقتصادية لا في لبنان فحسب، بل وفي حواضر الدول العربية؛ عمل خلالها على
ربط الاقتصاد اللبناني بالدول العربية والأوروبية، فاتحًا لذلك فروعًا تجارية بين
إنكلترا وإيطاليا ولبنان والدول العربية، فكوّن بذلك أمبراطورية تجارية خرجت من
لبنان الضيق إلى العالم، فأفاد واستفاد؛ ولكن جهوده الاقتصادية انهارت أيضًا

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).

نتيجة لمواقفه السياسية، والمتغيرات التي تعرضت لها الدول العربية بسبب الانتداب الفرنسي والإنكليزي..

يبقى أن نستخلص من كل ما ذكرنا أن عارف النعماني كان زعيمًا عالميًا تخطى بفكره السياسي والاقتصادي حدود لبنان وسوريا والدول العربية إلى أوروبا، وبالتحديد فرنسا وإنكلترا.

- اجتماعيًا لاحظنا أن صديقه كانت شفافة بيضاء، قربت الناس منه وشدتهم إليه، إضافة إلى كبر وجرأة في قول الحق ودأب في تحقيق الطموحات دون كلل. إن في مواقفه وتحدياته وطموحاته قدوة للأجيال اللبنانية، تثبت لمن عاش معه أو عاصره ولمن بعدهم ممن اختزن سيرته، أن الأوطان الصغيرة لا تحكمها قدرية ضيق المساحة، وقلة الموارد الطبيعية، ولا الحدود المغلقة نتيجة حصار الجيوش لها أو ضعفها إزاء المخططات الاستعمارية، فمتى أعطيت رجالاً من أمثال عارف النعماني يعرفون كيف يحلمون بمساحات كبيرة من النجاح والتفوق، عندئذ يتجاوزون الحدود ويرتفعون مع أوطانهم إلى العالمية المطلقة.

ولكن قد تختفي سيرة هؤلاء الرجال من تاريخ لبنان الحديث بحكم مرور الزمان وتقلب السياسات وتكرر سادة الحكم والسلطة، وتبقى مواقف البطولة أكبر من أن تُنسى أو تشوّه. فالتاريخ فيه زوايا وهماجه قد يخفّ بريقها في زمن الهزائم والنكسات، ولكن نور الحقيقة لا يلبث أن يعود يسلط الضوء من جديد على سيرة هؤلاء الأبطال الذين حلموا بالتغيير من أجل مستقبل أفضل للامة العربية. فتحذوا وناضلوا وربما حققوا أهدافهم، وربما سقطوا، ولكن يبقى للحياة وقفة عز وللتاريخ حق وتأمل.

الملاحق

(الوثائق)

- ١ - الوثائق الفرنسية
- ٢ - الوثائق العراقية
- ٣ - الوثائق اللبنانية

الملاحق: عارف النعماني والوثائق الفرنسية

- (وثيقة رقم ١)
- (وثيقة رقم ٢)
- (وثيقة رقم ٣)
- (وثيقة رقم ٤)
- (وثيقة رقم ٥)
- (وثيقة رقم ٦)
- (وثيقة رقم ٧)
- (وثيقة رقم ٨)

الملاحق: عارف النعماني والوثائق العراقية

- (وثيقة رقم ١)
- (وثيقة رقم ٢)
- (وثيقة رقم ٣)
- (وثيقة رقم ٤)
- (وثيقة رقم ٥)
- (وثيقة رقم ٦)

الوثائق اللبنانية

- (وثيقة رقم ١)
- (وثيقة رقم ٢) رسالة من توفيق فايد إلى عمر فاخوري
- (وثيقة رقم ٣) رسالة من عمر فاخوري إلى خاله خضر

الملاحق: عارف النعماني والوثائق الفرنسية
(وثيقة رقم ١)

الجمهورية الفرنسية
المجلس الحربي الدائم بالأراضي السورية
القائم في بيروت

قرار حكيم
باسم الشعب الفرنسي

اصدر المجلس الحربي الدائم للأراضي السورية الحكم التالي :
في اليوم الواحد والعشرون من شهر تموز ١٩٢٠ وبعد المداولات
والمراجعات ودارت ملف الدعوى اقصر بالاجماع تجريم المدعو عارف نعماني
بجريمة :

الاشتراك في عملية رشو الموظفين الرسميين ، واعتبر المجلس
ان هناك اسبابا تخفيفية لصالح عارف نعماني .
وبالتالي فقد حكم المجلس بأغلبية ثلاثة أصوات ضد صوتين على
المدعو عارف نعماني بالسجن سنتين وبدفع غرامة مقدارها ١٢٥٠٠ ليرة
سورية طبقا للمواد ٥٩ و ٦٠ و ١٧٩ و ١٧٧ و ٤٦٢ من قانون العقوبات .

تعريف المجرم :

مواطن سوري يعمل بالتجارة في بيروت

نسخة طبق الاصل
كاتب المحكمة
توقيع
مندوب الحكومة
رؤس

(وثيقة رقم ٢)

المفوضية السامية
للجمهورية الفرنسية
في سوريا و كيليكا

بيروت في ٢٢ تموز ١٩٢٠

الى سمو احمد بك فخري
الى الاستاذ بتروطراد

لقد فكرت مليا قبل ان اكتب لكم لي امانح مولكم ومديتكم
السيد عارف نعماني

بالرغم من انه لا يبدو ولى انه من الممكن لرجل مطلع مثل السيد
عارف نعماني ان يسدي الى ابن وزير داخلية حكومة الشام الخدمة
المتطلبة بنقل بطاقة الامر الموقعة من قبل كنعان بك والامير
امين ارسلان الى اسمه من دون احتشام وواقع الخطوة التي كانت
هي غرضها .

لي الشرف بان اعلنكم بانني نظرا لكون السيد عارف نعماني
لم يتقاضى مالا ونظرا لماضية ، قررت بان الحكم الذي ادانته
سيعلى وبان العقوبة التي نالها ستبديل بالاقامة الجبرية في مدينة
محددة .

تفضلوا يا صاحب السمو
تفضلوا يا حضرة الاستاذ
بقبول فائق عدي

غورو

(وثيقة رقم ٣)

المفوضية العليا
للجمهورية الفرنسية
في سوريا وكيكيا

باريس ٢٠ آذار ١٩٢١

مركز الوفد في باريس
٢١، شارع كاسيت (٧١)
هاتف: ساكس ٨٤-٣٢

رقم: ٢٧٥٣٠ / ك

السيد عارف نعماني
اجاكسيو - كورسيكا

حضرة السيد ،

جوابا على رسالتكم وعلى الطلب الذي وجهتموه الي ، لي
الشرف بان اعلكم بانني قررت ، في خطوة حسن نية ، ان اعطيكم
مهلة شهر للذهاب الى مانشستر للاهتمام باعمالكم ، بشرط
ان تتعهدوا بان تكونوا في اجاكسيو عند انقضاء هذه المهلة .

ان رئيس كورسيكا الذي علم بهذا القرار
سيعطيك جميع التعليمات المفيدة بهذا الخصوص .

تجدون طيها رسالة السيد ايدلبي التي التي ارسلتموها
لي والتي اعيد لها لكم .

وتفضلوا بقبول احترامي .

(وثيقة رقم ٤)

مكتب رئيس شرطة كورسيكا

اجاكسيو في ٢٤ آذار ١٩٢١

حضرة السيد ،

لي الشرف بان اطلب منكم المرور الى مكتبي لشأن
يهمكم ، غدا صباحا ، ٢٥ آذار ، الساعة الحادية عشرة .

وتفضلوا ، بقبول فائق تقديري .

السيد عارف نعماني ، اجاكسيو

(وثيقة رقم ٥)

مجلس النواب

باريس ٥ تموز ١٩٢١

سـيـدي وصديقي ، السيد نعماني

انكم ولا بد استغفرتوا عدم رؤيتي . لقد اتصلت بكم
هاغيا مرارا دون نتيجة الا وهي معرفة اخباركم التي تتحمن
وهذا من دواعي سروري .
لقد كنت انا في الفترة الاخيرة تعسب جد وكنت مجهدا .
اعني ان تكون صحتكم جيدة . لقد وصلنا الى المرحلة الاخيرة
من المفاوضات مع رئيس المجلس ، لقد تم ارسال طغراف اخيرا الى
الجنرال غورو ، استرجع بعد ذلك حريتي اذا لم تبلغ هدفا .
ومع الامل بروياكم قريبا غفلوا بقبول مشاعري المادقة

نائب باريس
٢٥ بولغار

(وثيقة رقم ٦)

الجنرال غورو
المفوضية العليا للجمهورية
في سوريا وكيكيا
قائد الاعلى للجيش
رقم ١٠ / ١٨٩

سـيـدي

لقد طققت رسالتك التي من خلالها تطلبين اصدار العفو ، المتعلق
بقضية زوجك عارف نعماني .
تعرفين ولا شك خطورة الخطأ الذي ارتكبه ضد فرنسا ، ومن
المستحيل ان تصور حاليا الطلب الذي تطلبينه .
تستطيعين ان تتأكدي بان جزيرة كورسيكا حيث كان يوجد زوجك السيد
عارف نعماني ، هو بلد آمن حيث لا داعي ان يتضايق ما ديا لحين رجوعه الى
بلده .
كما ارجو ان تعلميني بالامر اذا اردت ان تأتي مع اولادك لمقابلة زوجك لان
هذا سيكلفك عنا سفر طويل وسيد خرك كثيرا من المال .
تفلا بقبول ، سيدي ، عبارة احتراماتي الفاتكة .
الجنرال غورو

(وثيقة رقم ٧)

فندق لوتيسيا
٤٥ شارع راسبي
باريس (٦)

حضرة السيد نعماني

يا صديقي ومواطني العزيز ، لقد خرجت توا من عند الجنرال
الذي طلب مني عنوانك الذي سجله على بطاقة زيارتك .
تحدثنا بعدئذ عن الامور التي تعرفها .
هذه هي الورقة التي تم الاتفاق على مضمونها
بضميري وروحي لا ارى شيئا فيها ينتقص من كرامة الانسان الذي
يوقعها وبالاخص عند ما يكون هذا الانسان احداً من اعضاء المجلس الاداري .
اقراها بتمعن - انني لمم باللغة الفرنسية بدراسة استطعت ان اؤكد
لك ان نصها غير ضار وعادي .
فاذا قابلت هؤلاء الاشخاص اكون لك من الشاكرين اذا استخذمت
تأثيرك عليهم لاقتناعهم .
آسف لعدم تمكني من مقابلتك في الفندق و خيرها بغيرها .

المخلص شكري غانم

(وثيقة رقم ٨)

وزارة الخارجية
مديرية الشؤون السياسية والتجارية
الجمهورية الفرنسية
باريس في ٦ ديسمبر ١٩٢٢
اسيا - اوقيانيا

حضرة السيد ،

بقرار صادر بتاريخ ١٤ اكتوبر ، وافق رئيس الجمهورية
على محو ما تبقى من عقوبة النفي التي اذنتم بها من قبل
مجلس بيروت الحربي .

لي الشرف ان اعلاكم بذلك .

وتفضلوا ، بقبول فائق الاحترام .

السيد عارف نعماني
ص.ب. ٣٩١
شارع المينا الشرقي
استنكدرية
(مصر)

(وثيقة رقم ١)

ع. ب. ر. ٩٦ يناير ١٩١٤

بسم الله الرحمن الرحيم يا سيدي السيد
 سلام والكرام وحق وان رجلاً ان يملكه شيء هذا وانتهى
 غاية ما يلزم من الصحة والعافية ويكون زالك البأس انما
 سببه تحريمه هو لوضوحه فكل من يشتبه بها بعض الذين يشتغلون بمسألة
 البادرات والسفريات ونقل الحجاج الى مكة والمدينة في مواسم الحج
 وقد اتفقوا فيما بينهم وعضداً طواجرهم وعرضوا عليّ بأن اولئك شركة
 للسفريات في هذا الاسم يُدعى بها فيجوز له بعد ذلك وهذه الشركة
 تنضم بتسفير الحجاج من عراقيين واغلام من بغداد الى جدة واليابا
 ببيع ان تكون تلك الشركة هي المعتبرة من طرف حكومة الدوق مثلاً بحري
 بالتطال للذي يفتي الحكومة تنفق مع هذه الشركات وتسقي جميع حجاجها من
 بغير طبعاً ان تكون اميناً من تلك الشركة وتأخذ منها ايضاً ضماناً مالياً
 او كماله سبعة الاف جنيه مصري ترجع لا بعد رجوع الحجاج الى اوطانهم
 سيدي: العلية هي عليه طيبة وراحمه وليس علينا ان ندفع اسما ولا بار
 والجماعة اكون اليك (لأعتقادهم) ان هن سميت ومما لا يري وظهر لما
 لي من الاصدان في بغداد يمكنني من اعطاء الشركة اسماً وروافداً ويساعدي
 عند حصول مصادرة الحكومة العراقية بأن تصير تلك الشركة هي وحرها
 المعتبرة عندها وصاحبة المسؤولية تجاهها. وبعد ذلك المسألة
 اعطيتهم الجواب الآتي: انني اقبل مبدئياً تأليف الشركة باسمي على الشروط الآتية

(١) يكون اسم الشركة عارف النعماني وشركاؤه (وهنا تنتخب اسماً للشركة) الشركة المبرمة لنقل
 الحجاج شدة. او الشركة العراقية لنقل الحجاج او ما اخبره

(٢) ليس لاحد حق بالوضاءة خلافه.

(٣) يُعين رئيساً اساسي للعلية ويسمى لي.

(٤) في الحق المطلقة بالتصديق ووضع الشروط ^{التأليف} بين وبين الحكومة العراقية لوجوب منحها
 المصادرة عند الشركة ولا مقادير برر رسمياً.

هذه هي يا سيدي الاصح الشروط الاساسية التي طلبتها من الجماع واما فيما يتعلق
 بالشركة العراقية فاني اقترح ان تعين ^{الحكومة} مندوباً من طرفها تدفع ما شئت
 الشركة وهو يراقب اعمال الشركة ثانياً تدفع الشركة ما يجب من جميع
 الدولوات التي تقبض من الحجاج وهذه القيمة تبقى كضمان بيد الحكومة
 ترجعها للشركة عند رجوع الحجاج ولا تصدر تذكرة سفر الا تكون
 بخدمة من مدير الشركة ومن مراقب الحكومة.

هذه الشرع كما يقع لدى ^(الحكومة) عدا عن اجراءاتي طبعاً بترتيب
 الادارة ان كان لي يدوية او في بغداد كذلك في السويس وفي جدة
 وفي كل مكان يحتاج لهؤلاء لنا ينظرون لراحة الحجاج وتسهيل امورهم.

وفي مثل هذه طيبة بياناً بالاسرار النهائية التي وضعتها والتي عدا ما
 اظن لا يكون مجازاتها مع ضمان راحة الحجاج وتأمين الحكومة عن رعاياها
 وعدم انتظامهم في الحاج والضمائم هي مادية وادبية بأن واحد.

فارجوكم يا اخي ان تفكر قليلاً برزق العلية (مع ما انت عليه من الشكر)
 وتطميني اريك فيما اذا كان ممكن اتمامها والحصول عليها لان انتاعنا منها سيكون

انتفاع كبير ويمكن المداوم عليها كل سنة وتكون بنجاح وتكرار انني اعم
 عدم اهتمامكم بالامانيات ولكن رغبتي اهتم لي ولكنه وكما سمعت
 فزيت الشركة ستكون نافعة لنا وللدراق وحكومتهم ايضا بحيث
 يكون الحاج العراقي ضمن الراحة وهابا واياها بضمان واشرف
 حكومتهم كما يجري في القطر المصري.

ارجوا ان لا تنسى عني بالجواب باسرع ما يمكن كي لا ينفذ
 الوقت نأتم الاتفاق هنا واحفظ الاعداد لتمامه هناك مع
 الحكم ...

هذا والي اختم تحريري احيانا الله تعالى من التوفيق والارهاق
 وان ينشطكم وليقويكم ويدبركم لرفعت
 عارف

(وثيقة رقم ٢)

العنوان التلغرافي: عارف النعماني
 صندوق البوسطة: ٩٩

بشارة النعماني

بشوات

يرون في ٥ شباط ١٩١٧

عزيزي وجيد حفظكم الله
 سلام وتوق وبعد فان كودكم الطويل كان بدأ باستفهام بالي لولا وصول
 كمال لطفه عن فاستطعت منه من صحتكم وانتم بغير عافية
 عن ان يكون الحال ما جرت به لكم وقدم عيني التامين . فزيت من كمال لطفه ان محمدي عالمه
 الاحيان يكون غائب عن بغداد لا الاراضي الراعية .
 ثم رقت الان سلا ولم اكنه نتم تحرير ولا من محمدي ولا اربي من سيرا الا وقل شي
 ولا عن المسكن ان راعي التي يمكن محمدي الان ان يغيب عني . فان محمدي ان ينفذ
 هذه تصفئة الخطم التي كانت مخدوم من الحرس اعاني ؟
 وقد ادرام بزرز السنة طيبة وما هي تقريبا الكمية والمساحات الموزعة ؟
 هذه بكرة ارجو ان يزرع تطل بزرز السنة ؟
 ان كودكم المتأدي عن التحرير يجهلني هذا مثل الضائع وهذا لا يدافع بنم ان تحرروا
 يا كليلين عني الا قل سوا انتم ومحمدي لرجل ان الكون au moment هذا
 فمدي جدا .

الآنسة صبيحة : استغفرت من الباشا رساله الخرجية / عن يد البنك وقد صدر بها ثقله
 بقض اليه نظرا طعنه بته البنك والتزته للذهاب للبنك ورجعه الطير خلافا
 لا يكلفنا ممن بذلك ؟ ويوفد عليها وعم نفسه الثقلة ؟
 حطت يد المجمع الخافيه للكتب بخص البنك والصعوبات التي وصلت لها وبعده
 اي يوم السبت كانت عندنا في البيت عن الفدا وقد عدلها الكلة كبه حبه طبرها
 وحسرا جيت جدا وهي بسوط لغا .

(وثيقة رقم ٤)

پاؤں

المؤلف: عازف النغماني
مندوب البوسطة : ١٨

بيروت في ٢٢ آذار ١٩٤٢

[illegible]

عزیز و صید
حضرت قمر کمالیوم رقم ۱۶ وقد تکررت فک جہاد لہم اعلاء ملک
ایمانی عن حضور ستر من الہدایت جہاد ولو لم یفرقیہا ولكن فعلتہ بالعکس
وہدوا من تقیم تنفاد حررت لہم کل برادرہ بعینہ من ہفاد بتلا ث ایم
وہجۃ وصل عورکۃ لعلک عنہ لہ اولیل بسول و فریحتہ اند سان اول
امس عن ہولوق الاستان بقطار حلب

انه كان من الالهي عندي مكان عظيم مقابلي له يا بريد وكيف لم يخط
يا بله ذلك مع علمه بما بين وبين الشركة والاراي خصوصاً وقد تكلم
سعه المست "جن" ما تكلم بخصوصي ! لقد يعيد عنكم بعض الInitiative
يا عالم !! ان مواجرتي مع المذكور كانت تكون بمثابة نصف من الينشدة
وكنت فثقت ~~في الشركة~~ فثقت قويه جداً بدعواي مع الشركة !!

(وثيقة رقم ٤)

A. NAMANI
BEYROUTH

TÉLÉGR.: AREF NAMANI
B. P.: 99

پروایب علیہ

غزلیں و حبیب

أخدت تحريكه وفرضت حركته بضم السين، فلعلة خيد از ما ز اليبدي
الرجوع لاضي وحيي وقد صار ٦ وما تحريك كنه اب بقهرها الحظير الا من حركه
انفصالي وتأثيري على فوات هذا الفصه ولكن قد كان .
عطوفة الباشا واجهه بمصطلح تحريك هذا واسأل خاطر وأعرف له عن لاني
اني انتظ ورور الحواله مبلغ بليج التي كنت حوتة باراسا وقد وعد بتدبيرها
معا صوفيه من الحش الحافظ حفظ الله . كنت باسرت بتحريكه الآن
ولكن بالحقيقة لا اعلم ما ز اكتب له وتراني تضايقت جدا من الحامي عليه
ولكن ما العد ولا ثقة لي ولا اهل الوا فيه ؟ والحامي لقد نأج عن ضروقة
سدي حاجه الى شئت اذ ان الشركة بانتظار وصولي وقد مضى الكثر
من حزين تقديرا على دعوتنا لي الحضور . والبر خطاوي ان تأخر اوان
لا تمكن من السفر لعدم وجود دراهم وحظاكه الطام الكبري فتذهب كل
التعابي وساعية وأغرق الى الابد .

لذلك تراني مخرج الأعصاب يا وحيه فلو تستقم ازاما حرت لك
نفس الايمان بل امة جديدة لم تعود عليا قبل الآن .

لقد وفق الزيادة اهدكم جميعاً سلاماً ورحمة

انطلقت الباشا في هذه التبرير بوجه محمود، فقال انه كان

وثيقة رقم ٥

المعاون التلغرافي : عارف النعمان
صندوق البوسطة : ٩٩

عازف النعمان

بإرشاد

يرون في ٢٨ شباط ١٩٢٣

عزيزي وصي
بعد ارسال التقرير المرفق باسم عطية الباشا لخدمتي في ٢٠ من
شهرت تمهله بحرفه خالص الباشا لخدمتي في ٢٠ من
يتوقف حاله لاني اصبحته بناية الاطوار واختر ان ير كوتة وترسل جميع
التأجيل التي توصلت اليها لخدمة الباشا
خالصهم : ربما يكون منه لخدمة الباشا في ٢٠ من
يدخله لخدمته ويرسلني . وهذا ان عند شريكنا الشيخ علي كريم لم يرزل
موجود ضمن لخدمته ؟
سأذكر في امر السنديكيا ؟ وهل اتفقنا ؟ امه عطية الباشا ان
التحريك الذي سلمته لخدمته وبعدها لا استأجر ما يخصني من الامور بنيت على موافقة
واتفاقه مع .
الطابع وصلنا وهذه الطابع عندنا من كل الامور والذين كنا نرغبه لكي الطابع القريب
القديم والطابع السوري والطابع الجزائري وطابع سري الاردن وفلسطين
اما طابع لبنان الكبير والجمهورية اللبنانية فزدها كالمه عندنا
لقد ما لم الكاز عرفتكم عن ورم

عازف النعمان

الوثائق اللبنانية وثيقة رقم ١

بمناسبة اتفاقية النعم اللبنانية الفرنسية

عارف النعمان طالب عام ١٩٢٣ هو
ومصطفى عز الدين ونجيب والفرد سرسق وبتروطراد
بانشاء بنك اصدار لبناني.. ولكن..



المسيو ابوبار هدهه بالنفي الى جزيرة مدغشقر!

حضرة الاخ العزيز المحترم السيد
عبي الدين النصولي حفظه الله

سلاما ومحبة وبعد فزولا عند عيتكم
الي بتدوين بعض مذكراتي عن قضية
البنك السوري اللبناني وقيام في سنة
١٩٢٣ بطلي المعلوم من الحكومة اللبنانية
ومجلسها اللبناني بتأسيس بنك اصدار وطني
اذكر لحضرتكم ما يأتي :

بعد ان قبض علي الفرنسيون في سنة
١٩٢٠ وحاصروا كتي ديواتهم العسكري بقضية
اعضاء مجلس ادارة لبنان الشورى وحكمهم
علي بالنفي الى جزيرة ارواد اولا ثم الى
جزيرة كورسيكا وبقيت في تلك الجزيرة
مدة سنة كاملة ثم منحوا لي بتركها الى

حيث اريد ما عدا لبنان وسوريا وكانت
محظورا علي دخولها فاستوطنت القطر
المصري وفي سنة ١٩٢٣ تلقيت في
الاسكندرية كتابا من وزارة الخارجية
الفرنسية تنبئني فيه بانه بناء علي امر رئيس
الجمهورية الفرنسية قد رفع عني الحظر من
دخول وطني فبادرت بشهر تشرين الاول
من سنة ١٩٢٣ بالسفر الى بيروت فوجدت
جماعة البنك السوري اللبناني وعلي رأسهم
المدير العام لتلك المؤسسة المدعو ديار
M Borard قد قدموا طلبهم رسميا

قضية جديده في قضية مصلحة وطنية

اجتماعي بالجنرال وبغاله
طلب الي الجنرال وبنان (وكان اذ ذاك
مفوضا ساميا في لبنان) مقابلته فزرت في
مقره بالسراي الكبير وكانت مقابلته
لي لطيفة للغاية ثم سألني : ما هي تلك الحركة
التي اقوم بها بخصوص مسألة البنك ؟ وهل
اعتقد انه بإمكاننا نحن اللبنانيين ان نقوم
بمثل هذا العمل الضخم ؟ فاجبته حرقيا
بما يلي : ان حركة البنك هي حركة طبيعية
يجب علي كل مواطن ان يقوم بها بدون
استثناء .

واني واسخ الاعتقاد بان اللبنانيين
قادرون ليس فقط علي تحقيق هذه المهمة
وحسب بل انهم يستطيعون ادارة بنك
فرنسا خيرا كما هو عليه الان وما دام
الامر كذلك . اولا تقان ان تماوتنا معا
يكون افضل .. فاجبته ان المسألة في
اعتقادي لا تستحق مثل هذا التعاون
ولكننا مستعدون لدرسها قال : الا تزال
حافدا علينا نحن الافرنسيين لا يمانا اياك
عن وطنك ؟ فاجبته . ان القضية ليست
قضية جديده في قضية مصلحة وطنية

يقم
الوطني الكبير
عارف النعمان
حسبنا وبالله ما لا تحصى .. اما

رأساً لبيت بتروطراد فزرت له ما حدث
بيني وبين ابوبار فكانت اليه ان يرافقي
فوجدنا سورة الى بيت نجيب سرسق .
فلما دخلنا - آت عنه فاجابني انه
تلقى تلفرافا من الاسكندرية مساء امس
وسافر في الحال عن طريق فلسطين .

المسألة تنفك

وهنا اخذ القلق يسبقني في مهمتنا
بعد ذلك لبيت الفرد سرسق . فوجدنا
الفرد واقفا المديج ذاه فقول اليه
وقال : كنت ذاهبا لزيارتك ، اظن ان
المسألة تنفك . ولكن كن علي ثقة
بعارف اني بانك الى التباة ولوشنقوني .

ابن عمي نجيب فركا ، من الطريق
واما مصطفى بن الدين فان تبعه علي
الاعراب ايضا .. فخرجوه بان ينتظروني في
البيت وتوجت لبيت مصطفى عز الدين
فلم اجده وعلمت من اهل بيته انه سافر
لية امس الى طرابلس حيث يترجم منها
التوجه الى دولها بشأن قضية . وكان
حدثت الى داره اذ درس سرسق واخبرته بالواقع :

الامر ان يفرجوه

الوطني الكبير
عارف النعمان

(وثيقة رقم ٢)

رسالة من توفيق فايد إلى عمر فاخوري

السيدي لأن القلب لا يقبل إلا مثل هذه الكتب التي هي خفية بعد السهولة
الكتاب الذي اخترته فيه شأني جداً عما مؤلفه الكبير ورفق الإطراء المحفوفة أنه لا
يصدق عليه في دروسهم وهو حجم الروايات الفضية الدارجة أنا لا أستطيع ولا تقويم
والفت نظرته إلى الكتب التي تدعى اليوم أقبالة عند جمهور قراء المصرية وربما تقرب
ذلك : مذونات هيندجورج . مذونات مدام الحوت . وهي تبايع جداً إلى أحيائها
أعرب للمثلية كتاباً لقاء عناية المدح والجل في فلم أجده فيه شيء إلا كتاب الماء له الزينة
واللطف والذوق واللباس لا ينبغي بي باق من سنة انه وليت أنا له اللقاء هنا كل
هذه المدة . هل ترى يعني أنه كتاب حقا البسيط قابل الرواج الخي أنا قد أكون في
أمره وأبدى لي أنك لا تستسيبه لانه من عظم كونه عالم إلهي أنا لم أقرأ إلا
بعض صفحات منه ثم أفذه عارف أفذه مد المدد ولعلي أطلبه من كتابيل العدة وأبعد
إليك أنه تحفي نسخة منه إذا لم يكن الطرح عليك ولو بهد على إيل التي في هذا الكتاب
لما فاضرت

على ذكر الطرح وعارف أفذه أخبرك بأنني كتبت إلى أبي محمد الدين بيان الألف
فذلك كتابه نصفه لا طرفة بياض بعد ما وقد كنت له عهد الذي فذلك القديمة طم
هل أقاله كتاب من بعد سري أو أرسل إليك راتب الشهر المحمدي وأما عارف
فقد أفذه حقيقة أري بالتفصيل لما أتى منذ نزلت إلى السبع إلى القاهرة فقلت لي أنه
عائد أفاقية بشركة الأصغر وخرج لأجل استجواب الكتب من ترانقيا ودهر صبي
يذهب لمجمع التوبة الأولى وأنه ما زال يغلب لي لعل عند المباشرة بأمره الإضافية
الآن هو المثل في رجا فافخر ذلك أيضاً بصفه شهر لأن المصنف الروماني الذي
كانت الزكاة المام له الأكتاب أودعت عنه أحوال أفذه ولهذا فزقت الحارث
إلا أنه فسوى الأمر كان البديع عارف فافخي جهة الأمر في باريس من نفسه وأنا لفي
عما إذا كنت أفذه المحور إلا أنه كذرية يوم يطبعني الإل وقد أفذه عن جوابي إليه
بوضف

كتبت إليك عن حالة نجيب شفيق في كتابي الماضي وأزيدك اليوم أن قريبه
في بيروت دفع ... فزناً هديتاً فليكن مجموع ما دفع ٨٥٠٠ فذلك وقد أكتبته
الكتاب له في الجاري ولكني لا أترك فرصة حتى أؤكده وهو بعد كعادته

(وثيقة رقم ٣)

رسالة من عمر فاخوري إلى خاله خضر

الكتب التي هي خفية بعد السهولة

أخبر
(١) أنا من وعظني وأنتباهه من ... أنا أعلم
أنه كان يتخيل في صدره أن يكتب كتاباً على ... أنا أعلم
حالة الخفية ، لوقية الشراية ؟ أعرف أنتم له
نقد ... أنا ستي ولو كنت قادراً لقد كنت له : لو
أنت تعلم ستي من عمل عامي المكتوبه إذا
تكونه (درست) وإذا أجد معصية منه صابني
أبي محيي الدين ... هذا أريد لم أمجد الله !!

(٢) أفكر في الله عارف النعماني ... أنا أعلم
هذا ... أنا صفة حفظ ... أنا أعلم
أنا هذا الأمر وأكمل مع الإله على ... أنا أعلم
وأنت أدرس بالمصدر التي لمحت إلى أبي وأريد
وأنت لا يوافقه أخذ أو تناول ستي مني

(٣) قبل سفر في دكانه فكري (الحقيقة) أنا
قبل خصامنا مع مهاجدة قال لي محمد (الحق) وكنا نأكل
لدينا من السبا أو الرواية لا تذكر ... أنا أعلم
عني أبي وطحنوا لا تبالي ستي ... أنا أعلم
عليه الحقيقة فأس برقية والسريرات ... أنا أعلم
ما فقهه ؟ رجا أراد به مسو شمر وأهد
وهو القلب . فأذا كنت مدراي في فلم تحم
عنه ستي وهو أو فلفل . وأنا لم لا تبالي إلى
هذه السيلح ، إلا بعد نقاد الخيل ... أنا أعلم



قصر عارف النعماني في صوفر



عارف النعماني مع الأمير فيصل بن الشريف حسين ١٩١٨



عارف بك النعماني



عارف النعماني وزوجته الفرنسية أثناء نفيه إلى جزيرة كورسيكا ثم باريس سنة ١٩٢٠



قصر عارف النعماني بمنطقة حوض الولاية (البسطة التحتا)
قبل تهديمه وتحويله إلى مدرسة الإناث الأولى الرسمية



عارف النعماني في المنفى سنة ١٩٢٠



عارف النعماني في المنفى سنة ١٩٢٠



الجماهير الشعبية التي أتت لاستقبال النعماني في منطقة المرفأ بعد عودته
من المنفى في جزيرة كورسيكا ١٤ تشرين الأول ١٩٢٣



عارف النعماني في كورسيكا أيام المنفى

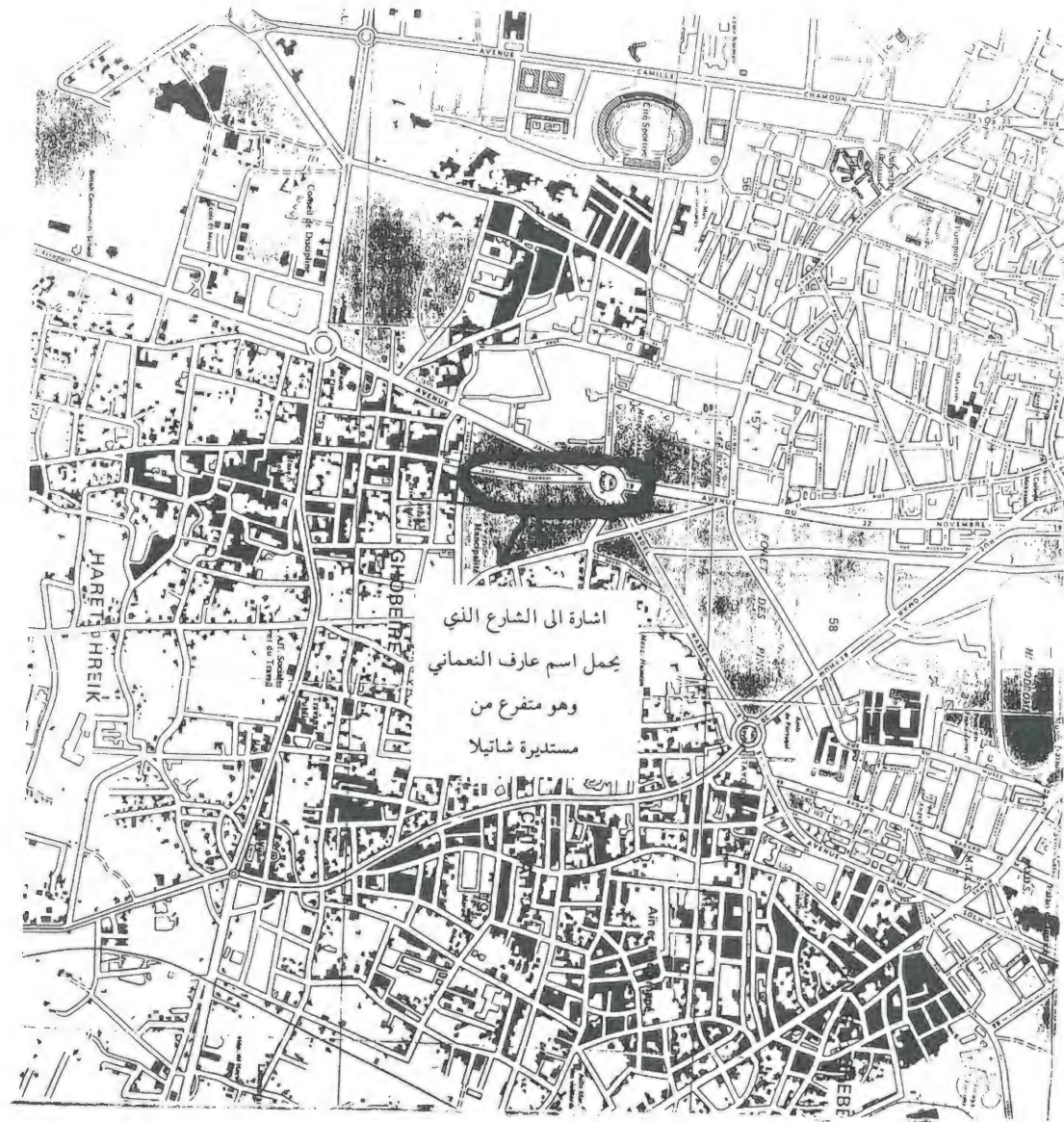


ال جماهير الشعبية التي كانت في استقباله بعد عودته من المنفى ١٤ تشرين الأول ١٩٢٣



ال جماهير الشعبية التي أتت لاستقبال النعماني في منطقة المرفأ بعد عودته من المنفى في جزيرة كورسيكا ١٤ تشرين الأول ١٩٢٣

خريطة لمدينة بيروت تبين الشارع الذي يحمل اسمه



الجماهير الشعبية التي كانت في استقباله بعد عودته من المنفى في ١٤ تشرين الأول ١٩٢٣



قصر عارف النعماني في الإسكندرية شارع محرم بك سنة ١٩٢٤

عدا تبدأ «الحياة» مذكرات عارف النعماني



الرجل الذي انفق نصف مليون
ليرة ذهبية في سبيل بلاده، ولتم
بسلام!

المحافظ الكبير، المحسن المجنون،
الوطني الفامر، الوطني «الجيستلن»،
صديق الملك حسين والملك فيصل،
صديق الجنرال غورو وخصم
الجنرال غورو، صديق فرنسا
وعند فرنسا!

الرجل البيروني الذي انشغل
بشؤون الحجاز وحفر اباراً في
ان قال المثلثا شقوباً من المستعك
حسين، وخطياً من الملك جمال
اذا جعله نهراً دافقاً، جعل بينه

عارف النعماني سنة ١٩٢٠
وبين استثماره بعد ان بدل من اجله ١٤ الف ليرة ذهبية
المجاهد الصامت الذي كان اخلاصه وماله كامنين وراء جميع
الحركات الوطنية منذ ١٩١٥ حتى الانتداب....

عارف النعماني، الذي قلا البلاد العربية عامة، وبيروت خاصة،
باسمه وماله جيلاً، ثم سكت سكوت اهل الكهف!
...وها هو اليوم يتكلم بعد صمت ثلاثين سنة. يتكلم الله
وللتساريف وللوطن!

مذكرات عارف النعماني
كما نشرتها جريدة الحياة

ما كتبه مجلة الأفكار
حول عارف النعماني

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة ... يتكلم اخيرا - ١

مذكرات عارف النعماني

كما دونها معجده قره علي



عارف النعماني وهو على فراش المرض يتحدث إلى مندوب «الحياة» محمد قره علي.

... أراي الان اجلس بين يدي رجل قصير القامة ، ابيض الشعر ، في عارضيه بقية من شارب كبير ، ابيض البشرة ، نقض منه غبار سبعين حبة ، ولم يزل نائف البصر والبصيرة ، رقيق الحديث ، جميل الاشارة ، تحيط نغم ابتسامته دائمة .

يعلم مقعده ، اطار فيه كسوة من الكعبة ، هي هدية من الملك حسين ، وبعض رسوم كبيرة لاصدقائه الخالص ، في مقدمتهم فيصل ، واباسين الهاشمي ، ويوسف العظمة الخ .

لم اكن لا عرفة من قبل ، ولكني طالما سمعت عنه من ابناء الرعييل الاول والجيل السابق ما جعلني اشد هذا الكثر ، هذه القطعة المعنوية من تاريخنا الحديث !

وكان طبيعيا ان يدور دولا ب الحديث عن ذكريات الرجل الكبير . ولكنه سرعان ما ابتسم ، وتنهَّد ، وحلَّق يسي قائلا : ماذا تريدني ان احديثك ؟ عن اي شيء ؟

قلت : انما اردتك ان تحدث هذا الجيل بأسرار جيلك ، وهي كلها في صدرك ، وفي شبابك وحياتك !

حدثني كيف نجوت من الموت ، بعد ان اعدم السخاخ رفاقك !

حدثني عن علاقتك بملك حسين والنجاة !

حدثني كيف حدثت غورو ولماذا حدثني عن قضية امضاء مجلس الادارة اللبناني ، وال عشرة الاف وخمسمائة ليرة ذهبية التي دفعتموها ، واين انتهى مصيرها !

حدثني عن بنك الاصدار اللبناني وعن التهديد بتفكيك الى مدغشقر .

حدثني لماذا حكم عليك غسورر بالنفي الى ارواد والى كورسيكا !

حدثني عن البترول الحجازي ، وكيف اكتشفته !

حدثني عن السند الذي تملكه على الملك علي ، وعلى جمر كجدة ، بقيمة ٢٢٣٠٠ ليرة إكليزية ذهب !

ولكن السيد عارف النعماني لم يدعني استطرذا ، بل قطع الحديث بقوله : الحديث عما اشرت اليه طويل عريض ، وماذا يعنيك من امر هذا الحديث الذي اصبح صاحبه نمسا منسيا ، حتى ان بعض اصداقائي يتساءلون : هل لا يزال عارف النعماني على قيد الحياة ؟

وبدأنا نتحدث ، ومرت ساعة في اثر ساعة ، وجلسة في اثر جلسة ، حتى وصل الحديث اليك اليوم يا قارئ !

ولد عارف النعماني عام ١٨٨٣ في بيروت ، وتلقى علومه في مدارس البروسيا الألمانية واليسوعية ، والبطريركية . وكان من اساتذته في اليسوعية (اللاهوت) المشهور .

الشايخ ، وهاجموا النادي ، حيث كنا مجتمعين ، وجرت بيننا وبينهم شبه معركة انقضت بسلام ، بعد ان تدخلت قوى الامن !

ولم تكن تقتصر تلك الحركة على بيروت ، بل كانت مديرة في الاساتنة نفسها من قبل السلطان عبد الحميد ضد انور ونازي وطلعت ، وهي الحادثة المعروفة بحركة ٣١ مارس ، ولكن تلك الحركة فشلت ، واتتهت بخلع السلطان ، واستقرار الاتحاديين في الحكم .

قمر بي محدثي دفعة واحدة الى عام ١٩٠٨ ، ليحدثني عن اشتاله في القضية العربية فقال :

— في سنة ١٩٠٨ اعانت في الاساتنة «المشروطية» وتشكلت جمعية الاتحاد والترقي . وكانت قد است لها فرعا في بيروت برئاسة المرحوم الدكتور حسن الاسير . ووقع الاختيار علي لكون اول عضو فيها . ثم انضم اليها عدد كبير من شباب بيروت المتحمين للإصلاح والرقى ، يقينا منهم بصلاح تلك الجمعية ، وقد اتخذت لها مركزا في ساحة البرج - ساحة الشهداء ، بمذلة - في بناية اوتيسل ستترال . حيث كنا نجتمع لالقاء الخطب والاحاديث وكان من أبرز خطبائها المرحوم الشيخ مصطفى التلايني .

واستمر اقبال الشباب البيروتي على الاندماج في الجمعية ، الى ان قام بعض المرحضين من اسيناهم في حينه «الرجيون» وتجمع الغوغاء ذات يوم بقيادة بعض

انقضت مدة غير قصيرة ، ونحن نعقد بصلاح جمعية الاتحاد والترقي ، الى ان بدأنا نشعر بالخيبة ، ثم ساورتنا شكوك انتهت باليقين ، اذ اتضح لنا ان الجمعية قوية طورانية ، تمادي العرب

وتخاصمهم ، وعلى الاثر قررنا الانسحاب ، وانسحبنا . لكي نبدأ بدورنا تأسيس الجمعيات العربية ، وفي مقدمتها جمعية الاخاء العربي . تأسست جمعية «الاخاء العربي» في الاساتنة نفسها . وكان اول الداعين لها شفيق المؤيد ، ونذره المطران . وقد تولى المذكوران توزيع الدعوة على ابناء العرب القيمين في الاساتنة لحضور الاجتماع الاول ، في مسرح «فاريته» في حي «باي اوغلو» وكان من حضرو الاجتماع الاول معهما عبد الوهاب الإنكليزي

وكانت الجمعية قد اصدرت جريدة «الاخاء التركي» بالاساتنة ، وجعلتها لسان حال اخاء العربي ، فعملتها السلطة .

وحقي العظم وعبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوي ورضا الصالح وحسين حيدر ، وغيرهم .

وقد سبق ذلك الاجتماع شخوص الشيخ رشيد رضا وحقي العظم الى بيروت ، حيث عقدوا عدة اجتماعات ، خطبا فيها . وكان يعاؤنهما المرحوم عبد الغني العريسي . ثم انتقلا بعدها الى دمشق يثان الدعوة لاستقلال البلاد العربية .

ولم يقتصر النشاط على بيروت ودمشق ، بل تجاوز البلدين الى بغداد ومختلف الاقطار العربية الداخلة في الامبراطورية العثمانية . من هنا بدأ تفكير العرب جديا بالانفصال عن تركيا واستقلال بلداننا العربية . ولم يطل الوقت بعد هذا حتى تنبته الحكومة التركية الى خطر الجمعية فاصدرت امرا بالغائها واقفال جميع فروعها .

وكانت الجمعية قد اصدرت جريدة «الاخاء التركي» بالاساتنة ، وجعلتها لسان حال اخاء العربي ، فعملتها السلطة .

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعماني - ٢
« وليت وانا انقض غبار الموت عن كفتي ... »

كما دونها محمد قره علي

نوالي نشر القسم الثاني من مذكرات عارف النعماني :
ولم تمض اسابيع على اقبال جمعية الاخاء ، حتى تبادى لبقه اجتماع في الاساتذة السادة : عبد الحميد الزهراوي ، عبد الكريم الخليل ، سيف الدين الخطيب ، رفيع رزق ساوم ، يوسف سليمان جيدر ، جميل الحسيني ، شفيق المؤيد ، رضا الصلح ، الشيخ رشيد رضا ، حتي العظم ، حسين العظم ، ندره المطران ، شفيق جيدر ، جميل الحسيني ، شفيق هولو باشا من تأسيس ناد جديد النقيب ، عزت الجندي ، رشدي النعمة ، نضله المطران .
وما هي الا ايام ، حتى تمكن هؤلاء السادة : وبمساعدة عزت المطران عليه اسم « المنتدى العربي » في نفس الاساتذة . انضم اليه كل عربي كان يقيم فيها ، حتى الطلاب . وكانوا يجتمعون تحت ستار المدرس والمطالعة . وكان يرأس النادي عبد الكريم الخليل . وعلى الاثر اصعدوا جريدة « الحضارة » لصاحبها عبد الحميد الزهراوي . وكان النادي على اتصال دائم مع جمعية «الامركزية» التي كانت قد تأسست في مصر ، والجمعية الاصلاحية التي تشكلت في بيروت ، وجمعية « العهد » التي اسسها عزيز علي المصري وسليم الجزائري وجمعي العظم وحسين جبرادة وعزت الجندي . وكان بين أعضاءها السادة الذين ذكرتهم سابقا . وكان في تلك الجمعية تديرها وتشرف على توجيهها ، وان تمتدحت الاسماء . ولم يكن يعلم احد بوجود تلك السروع والجمعيات الا الاعضاء المقربون . وكانت شارة التعارف تتألف من درجتين

١ - كلمة « هلال » بتهجتها حرفا حرفا .
٢ - كلمة « ابو بكر » وبتهجتها ايضا .
هذا عند المكالمه . اما في المجالس ، فكانت اشارة السروع اصبعين - السابعة والبصر - على الذراع الايسر ، واخفاء بقية الاصابع .
وهناك « الجمعية الثورية » التي شكلها عزيز علي المصري ايضا على غرار جمعية « العهد » ، وكانت ترسل المنشورات والنداءات بصورة علنية من مصر الى جميع الاقطار العربية .
من هذه الجمعيات بدأت النهضة العربية ، ومن هنا انطلقت البدايات بالاخاء العربي وبلاستقلال واستمر ذلك حتى عام ١٩١٤ عندما وبعد ثوب الحرب ثلاثة اشهر ، اصدر جمال السباح امره باقتال « النادي الاهلي » وختمه بالنسجم . عن كفتي !

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعماني - ٣
كنا نعتبر الشريف الحسين واولاده موظفين عثمانيين...

كما دونها محمد قره علي

لا ذكر لي عارف النعماني كيف نجما من الاعتقال ، بعد ان اطلق جمال باشا النادي الاهلي في بيروت ، سالته :
التي ركزت التهمة ، ودفعت جمال المؤتمر المعروف سنة ١٩١٣ ، العربية ، فكنت المس فيه حامة لها . وكان يقول لنا : ستمعون في القرب ما يسركم ان شاء الله !
واذكر انه في سنة ١٩١٣ طلب الي ان اتعاون معه في الجمعية الاصلاحية التي اسسها آنذاك في بيروت فلبيت طلبه ، وكنا نلتزم بالاتفاق مع الانكليز .
قبل ذلك ، لم تكن لنا معرفة لا بالملك حسين ولا بابائه ، لانهم لم يكونوا يتظاهرون ضد الشبانين . وكان الرأي السائد عندها منذ عام ١٩٠٨ الى ١٩١٥ ، ان الملك حسين واولاده موظفون عند الاتراك ، ولهذا كان الامل شيه مقطوع منهم . ولكنني عندما التقيت بقيصر السلج لم يحكم عليه بالاعدام يومئذ . بل فرقت عليه وعلى والده الاقامة الجبرية في صيدا طيلة ايام الحرب .
وفيما كنت ذات ليلة احدث الصيف ، اشرح بان الجلفاء الى فيصل ، في امانينا القومية سيقربون بيروت من البحر ، فنادرت عاليه مع عائلتي الى دمشق .
وما كنت اصل الى دمشق حتى وجدتني في بيت حتي العظم ، حيث كان ينزل يومئذ الامير فيصل ، فكان اللقاء الاول مع الامير الذي طالما سمعت قبلا من اخباره مما حجب الي التعريف به .
وتحدثت الاجتماعات اليه ، ودمشق وعنت الي بيروت ، فتركت وبدأنا البحث في شؤوننا غرقة في جوعها ودموعها .

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عازف النعائي - ٤

المرحوم عمر الداعوق حكم بيروت خمسة عشر يوما

كما دونها محمد قره علي

ما كاد الملك حسين يطلق وقوع الهدنة في ١١ تشرين الثاني رصاصته اذانا باعلان الحرب على ١٩١٨ الخليفة العثماني ، حتى اغمرت وجوه الحكام والموظفين العثمانيين ، واصبحوا ينظرون الى كبل عربي نظرة حقد وكراهية ، واكتمر الجو في بيروت ، واصبحتنا نعيش في قلق وخوف .

واقطعت عنا اخبار الملك حسين ونهضت ، اللهم الا ما كانت تذيبه السلطات العثمانية من بلاغات في صحفها ، وكلها تشويه للحركة .

لم اتمالك ، ساعة رأيت تلك المجاعة تنزل في بلدي ، ان اذهب الى « السلية » لاتباع ما اجده من قمح اوزعه على مواطني . وطالما تكررت تلك الرحلة .

ومن غريب الصدف انني كنت طيلة ايام الحرب اتجول بين بيروت ودمشق والسلمية ، ولم اسأل يوما عن وظيفتي العسكرية ، مع انني كنت رديفا .

وطالما شهدت الكثيرين من رفاقنا يقودهم الجند الى « الدويضة » في سراي البرج ، ثم ينقلون الى « القشلة » في السراي الكبير ، ومن ثم يصار الى ارامهم ليأدين القتال .

وعينا حاولت بعد سنة ١٩١٥ الاتصال بمتجسري في منشستر طيلة السنوات الاربع . حتى كدت اليأس .

على ان اشافي في بيروت طلت سائرة منبرا حينما ، بعهد الله ، وكنا ترقب طيلة الوقت انباء الثورة العربية ، حتى كان صباح ١١ من تشرين الثاني ، ودخلت بيروت . وبعد عهد اقتسام بضرورة التسليم

مخاوفه من القتل او الاسر قلنا له : الناس الى معسكرين : الاول ان حاكم البلد عمر الداعوق يتولى حمايتك الى دمشق . وهكذا كان فراق عمر الداعوق الى دمشق حتى انتهى به الى الامير فيصل .

وفي تلك الليلة تسرد قائد الحامية التركية واعلان انه سيقاقل بجنوده اهل المدينة الى جانب والي . ولما قلنا له ان والي اصبح في الطريق الى دمشق ، وتأكد من صحة الخبر استسلم للامر الواقع .

هكذا رفعتنا العلم العربي في بيروت يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩١٨ بحفلة شعبية كبرى شهدها موفد الامير فيصل شكري الايوبي .

لقد عمرت حكومتنا ، او قل دام الحكم الوطني ، ١٥ يوما من ١٢ تشرين الثاني حتى ٢٧ منه عام ١٩١٨ ، اذ دخلت الجيوش الفرنسية ، فتضعف الوضع وساد في البلاد الهرج والمزج . واتقسم قواها الى التوائذ والابواب .

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عازف النعائي - ٥

جورج بيكو يحاول اقناعنا بقبول الحماية الفرنسية

كما دونها محمد قره علي

بعد مرور شهر على الحوادث المشؤمة ، اي استلام الفرنسيين للحكم في بيروت من الحكومة العربية المحلية ، وصل الامير فيصل الى بيروت ، ونزل ضيفا على السيد عمر الداعوق في بيته .

وفي اليوم الثاني كاشفنا رغبته بتأسيس وكالة لحكومته ، باسم « دار الاعتماد العربي » ، فكشفت طبيعيا ان نهمل للفكرة . وان نستعجل انجازها .

وفجأة ، اعلن اختيار السيد رفيق التميمي ممتددا . الاول في بيروت ، وتماقبت بعده يوسف العظمة وجميل الاشقي .

وفي عام ١٩١٩ عندما التفت د الاعتماد ، كان اخر ممتددا فيها يوسف العظمة ، ذلك الرجل الذي عرف كيف يكسب صداقة البيروتيين على اختلاف زعامتهم وميولهم . اللهم الا بعض اخواننا الانزالين ، فقد رأوا فيه داعية عربية ، فتنكروا له .

كان غرضنا مع الامير فيصل ان نعمل على تحقيق الوحدة الشاملة . ولكنه بعد ان عرف فيصل عن احوال لبنان ما عرف ، سألني : - الوحدة بما فيها لبنان ؟

فاجبت : اذا نحن ضمتنا لبنان الى الدولة العربية ضما ، فسيتمينا كثيرا ، خصوصا وان بعض ابنائنا بطليون خفية فرنسا ، لذلك فاني ارى ترك لبنان مستقلا ، شريطة ان قراي امانى اللبنانيين الوطنية في كيفية ادارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة ، وبشرط ان يكون بمزلة كمال ثامر الجبجي وان يكون حاكمه عاما للوكالة العربية في لبنان لتبذل الحكومة السورية فيه .

فالتفت الامر يقول : سننظر . منذ تلك اللحظة انقسم اهل في الامر عندما تجتمع مرة ثانية في لبنان الى قسمين : قسم يؤيد دمشق ، وارى ان تبسّموا الموضوع الفرنسيين وقسم معارض لهم .

واقطعت علينا يومئذ معاينة سايكس بيكو المقبولة بين بريطانيا وفرنسا ، وفيها ما اذا كانت سورية ، ولماذا ؟

للمحقق وفي المدن في جنوب لبنان ازيارة لجنة كراين صورية ، ولماذا ؟

وفي شبابه ، حتى جاءت لجنة كراين لم ترسل بريطانيا اخذنا من قبلها الاميركية للاستفتاء ، في حزيران للاستفتاء ، بل ولم نسمع لها ١٩١٩ . وعلى الاثر اختارت المدينة صوتا .

لجنة قوامها السادة : ساميح فاخوري ، احمد مختار بيهم ، سليم لقرني : نحن لا نعارض ، بل على سلام . ثقب الاشراف ، عبد نجيد ان يكون لك الانتداب على الكرم ابو النصر . عازف النعائي . لبنان ، عليك ان تقني ابناءه بطلب وقد طلب جميع اعضاء اللجنة انتدابك ، ونحن نكتفي باتتادينا الاستقلال ، الا النقيب ، فانه اصر على فلسطين !

علي المخالفة . لما افترض لنا سر معاهدة سايكس بيكو ، سارعت الى دمشق ، واتصلت بالامير فيصل واعربت له عن مخاوف . وبعد حديث اخر ، علمت انه سيذهب الى باريس لسمع الدنيا صوت عدالة قضيتنا . وفي الانتظار تأملت فرنسا السعي لاقتناعنا بالانتداب ، الجوزية والاستقلال .

فازسكت اول مندوب سام لها ، هو « ولكن ، انتظنا يا سيد بيكو ، المسيو جورج بيكو ، شريك ان جهادنا وتضحياتنا وتعليقنا سايكس في الاتفاقية المشؤمة . رجالاتنا على اعداء المشاق ، ودياء

بعد وصول المسيو بيكو ببضعة شبابا الذين خفصوا معكم الحرب ايام باشر اتصالاته ببعض الشخصيات جنباً الى جنب ، ثم منا منيت به المعارضة لفرنسا . وقد دعينا على بلادنا من خراب وجوع وعذاب ، الاثر للاجتماع به في بيت السيد وما نزل باهلها من اضطهاد ، انظرن بدر دمشق ، للعارف والمداولة ان كل هذا البذل كان فقط من اجل وتبذل للالراء في وضع لبنان ابدال كراباج ، بكمراج ، وعبودية السياسي بعبودية ، وبغير غير ؟ لقد اضطلت

وقد حضر الاجتماع جمهور كبير الفهم يا مسيو بيكو !

من وجهاء بيروت ومفكرها . ثم غادرت القاعة قبل ان استمع وبعد تناول الشاي ، اتصت الى جراه ، ومنذ ذلك الحين لم السيد بيكو خطيبا . وقد دار اعد التي به في جلسة من الجلسات

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعمانى - ٦

الجنرال غورو يقترح تعييني عضوا في مجلسه الاستشاري

كما دونها محمد قره علي

... لم تمر بضعة أيام على ما كان يوم بناولتي النعجان، حتى قلب حاجيه، وقاطعتني قائلا: فلنفس لاقامة اتحاد «فيدرالي» انساني من الاجتماع في سبت نهض وقال: المرحوم بدر دمشق احتججا على اقوال السيد يكون حشر شيئا من مثالي الداماد احمد باي بك، واخبرني انه اجتمع صبيحة ذلك اليوم الى الجنرال غورو وان المذكور اخبره انه قرر تأليف مجلس استشاري خاص به، يستشيرونه كلما دعت الحاجة. وانه رغب اليه في اقتاعي بان اكون احد اعضاءه.

سألت صديقي الداماد - وهو من القائلين بالتعاون مع فرنسا - من متائف ذلك المجلس؟

اجابني: ليس في سوريا وعقيدتي يا حضرة الجنرال غوروا ولا انهما لكي اشرح او اوضح. انهما تنحصر في الاستقلال والوحدة اساسا. وقد كان هذا نهجا وقرب النال جدا عندما دخلت الامة العربية للحرب الى جانبكم، واعلنت ثورتها على الدولة العثمانية بناء على وعودكم ونصائحكم المتكررة، وارتباطا برطانيا بالكتب المتبادلة بينها وبين الملك حسين. ولكن يؤسفنا يا حضرة الجنرال ان حكومتكم، ومن ورائها بريطانيا قد تكثت باليهود والوعود، ولم تحفظوا اي وعد الا وعدكم لليهود فلسطين. فاذا لم ترتدوا عنه، وتحققوا ما وعدتموه، فسيخربتم صداقتنا.

كان الجنرال يستمع الي الحديث، وعلى فمه ابتسامة. ولكني ما كنت اقول له «خيرتم صداقتنا»

تعليق على مذكرات النعمانى

اين نزل الامير فيصل في دمشق؟

تلقينا امر الرسالة التالية: الوقت، اي من ١٩١٥ حتى اواخر سنة ١٩٢٠، كان السيد جيسي العظيم في مصر، الى جانب المرحوم السيد رفيق العظم رئيس فرع حزب المركزية، اي طيلة ايام الحرب العالمية الاولى الماني. وهناك نقطة هامة اخرى الفت نظر ان جلانته عند قدومه لدمشق في مطلع الحرب، نزل في دار جيسي العظم. والواقع ان كنت منذ اللحظة التي وصل فيها الى دمشق جنبا الى جيسي، ان غادر دمشق يوملا سنة ١٩٢٠م في سنة ١٩١٤ الى مدينة بيروت افارقة، لم ينزل في دار جيسي العظم بل في دار عطا البكري، القاني بجوار سوق الحديدية. وقد استقبله حال وصوله لدمشق في ربيع ١٩١٥ المرحوم السيد عطا البكري واتجاهه فوزي ونسيب وسامي البكري، وعدد من رجالات الشام. وبقي طيلة اربعة اشهر في دار البكري. ولما انتقل من دمشق الى الصواري حلوا واقام في بيت البكري ايضا بمزودة القايون التي كانت ملكا لهم. وكان بيت البكري في دمشق مقرا للاجتماعات العربية السورية. وفي ذلك

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعمانى - ٧

غورو يؤلف مجلسا من التويني والداماد ويبيهم والنعمانى

كما دونها محمد قره علي

عندها قال الجنرال - بعد ان اطلق مليا: - اسمع يا مسيو نعماني. لكل انسان الحرية الكاملة بان يفكر كما يريد، وان يكون لنفسه رأيا سياسيا خاصا، فسي بلادنا نحن الافرنسيين. وانسي جد متين من صراحتكم، وحريه دعت الحاجة، وهذا لا ينبغي من الاتصال بكل فرد منكم شخصا. * * * في هذه الاثناء تازم الموقف بين الامير فيصل في دمشق والجنرال في لبنان. وكان الجنرال يعلم ان تسي تكرار الاعتداء المجرم على افراد الطائفة الاسلانية يجعلنا نخشى مقابله في دمشق.

الامضاء: فيصل

ادهشتني البرقية فعلا، فتطلعت الى الجنرال، وقبل ان انبس بكلمة قال لي:

- ايجوز يا مسيو نعماني لرجل مسؤول كالامير ان يكتب لرجل مثلي هذه البرقية؟

فلم اجبه على قوله، بل قلت له: هل يسمح لي الجنرال بسيارته ومراقبه، لاسافر الان الى دمشق؟

وما كادت الصحف تنشر المرسوم حتى دعا الجنرال غورو اعضاء المجلس الى اجتماع في الراي الكبير، برئاسة الجنرال. وبعد ان رحب بنا، وسرد العوامل التي دفعت لتأليف هذا المجلس او تشكيله قال:

- سادعوكم للاجتماع بي كلما دعت الحاجة، وهذا لا ينبغي من الاتصال بكل فرد منكم شخصا. * * * لقد توسعت عمدا في شرح ما تقدم، تمهيدا للفصول والحوادث التي سيأتي سردها في ما بعد، حتى يدرك القراء مخف العقيلة الحاكمة يومئذ، والتمه التي وجهها لنا الجنرال غورو يوم اعتقال اعضاء مجلس الادارة اللبناني.

وبعد الاجتماع الاول، لسم بنقده المجلس أكثر من مرتين، ولكن الجنرال كان كثير الاتصال بي حينما، وحينما بالداماد.

فابتسم ابتسامة خفيفة، وتابع حديثه بدون تعليق على ملاحظتي:

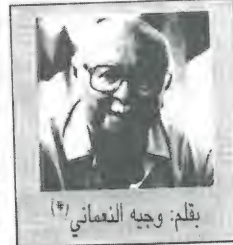
- كنت اقول لك اني متين من صراحتكم وحريه رايتكم، وانسي اؤكد لك ان ما سمعته منك لا يمنع قطعا ان تكون مستشارا شخصيا لي، بقبولك عضوية المجلس، وليس للسياسة العليا التي ذكرتها عرضا في حديثك.

والتي احب وانتر ان انسانا بالرايكم لادارة سياسي المحلية، وتلافيا لبعض الاغلاط التي قد اقع فيها، لذلك ارجوكم ان تقبل عضوية هذا المجلس خدمة لبلادكم.

كان الامير كما عرفت، فشمري، ثم دفعت وانصرفت.

وفي اليوم الثاني صدر مرسوم بتعيين المجلس الاستشاري من الشاذة: فخله التويني والداماد: فخله تاني، عبد الله بيهم، عارف النعمانى.

شخصيات عبرت



بقلم: وجيه النعماني



عارف النعماني في إيطاليا مع نياشينه.

نعم.. لولا عارف النعماني ما كان لبنان!

نشأه الجنرال «غورو» الى كورسيكا لأنه أيد المجلس الوطني ضد الانتداب!

بصفوتي اكبر اعضاء عائلة النعماني سناً ولكوني تعاطيت ووالدي واخوتي الاعمال التجارية ملازمين ابن العم عارف النعماني منذ الحرب العالمية الاولى حتى سنة ١٩٣٥ عندما توقفت نشاطات المرحوم عارف. ولكوني اطلعت مؤخراً على مقالات الصحفي محمد قره علي الذي نشرها سنة ١٩٥٣ في جريدة «الحياة» وظهر شيء منها في عددي مجلتيكم الغراء رقم ١٩٧ تاريخ ١٨/١٢/١٩٩٥ ورقم ٧٠١ تاريخ ١٩٩٦/١/١٥ بما يتعلق بابن عمنا والذي جاء في الأخير قولكم: «وهذه الأفكار» تترك الباب مفتوحاً للتفكير». اسعدوا لي ان اتقدم بالتعليقات والملاحظات الآتية:

— تبدأ علاقة والدي باموال المرحوم عارف التجارية المتينة منذ الحرب العالمية الاولى ان كان والدي يومئذ من تجار «مال قبان» — اي الحبوب المنوعة بالجبلية — ووالد عارف من كبار تجار «المنيفاتورة» كما تسمى وهي البضائع القطنية (خام، قطن، الخ...) وايضاً بالجبلية. والمحلات في شارع العرقا في بيروت.

— الحبوب كانت تستورد من مصر وجلب وتركيا والافغان من انكلترا. ولما وقعت حرب سنة ١٩١٤ العالمية انقطعت المواصلات بين

٦

من السيد وجيه النعماني (اديب وكاتب مخضرم) تلقينا هذه المقالة رداً على ما نشرناه عن عارف النعماني والملك فيصل الاول، ودور النعماني في اقناع الملك العربي بترك لبنان خارج المشاريع الوحودية واستجابة لدعوتنا طالبي الرد على ان يكتبوا البنا.

٩



عارف النعماني بالطربوش مع بعض امراء الحجاز.

سوى اعماله التجارية انما لا بد لي الا ان اذكر بانني اعتقد انه جاء في بعض هذه المذكرات بعض التعقيدات، واخشي ان تزداد تعقيداً اذا انا حاولت التعليل عليها. ولكني اود ان اؤون ما اعرفه بالتاكيد عن العم عارف انني اذكر بالتفصيل بأنه بالإضافة الى نشاطاته السياسية والتجارية كانت له اعمال خيرية معروفة حتى في الخارج. منه ما نشرته مجلة «الطريق» الصادرة في باريس بتاريخ ١٩٢١/٥/٢١ جاء فيها بعض الآتي: «عارف النعماني المتهم الملووظ كثيراً ما اشتهر في كل سوريا كمحسن كبير. سخاؤه وميله الى فرنسا اظهرها كما اشار اسفاؤنا السوريون: وفي عدة مناسبات. هذا الرجل الذي جدا والذي شملت تجارته كل القطر السوري خصص القسم الكبير من ارباحه لمساعدة الفقراء في بيروت ولعدة مشاريع خيرية. ساعد على ترميم عدة قرى وتغذية الصغيرة. وقام في بلده بالتعاون مع هيئات صحية وعملية بمكافحة مرض السل والمساعدة على اقامة مدارس للبنين والبنات» (صورة باوسمة).

— اغلب الظن ان الرغبة في الكشف عن الحجاز كانت في الأساس فكرة الألمانية الذين كانوا يعتقدون كما اعلم باحتمال وجود العاس والذهب حتى الحديد والتبكل والرخام والجص. وقد حاول العم عارف كما كنت اعلم الاتصال بشركات تهتم بهذا الموضوع انما الظروف السياسية لم تعد تسمح بالمتابعة. — ظهرت صورة في مجلتيكم الغراء العدد ٧٠١ صفحة ٤٧ لعارف النعماني ضمت السيد اسماعيل الشافعي الصبيلي الشهير في بيروت وصديقه الحميم، وبعض الاشخاص هم من السياح وليس من افراد العائلة ان لم تسمح الحكومة الفرنسية لهم بزيارة عارف. كما هو مذكور في رسالة ظهرت صورتها في مقال السيد قره علي.

— جاء في مقال الاستاذ فريد سلمان في العدد ٧٠١ صفحة ٤٧ تاريخ ١٩٩٦/١/١٥ من مجلتيكم الغراء تعليقا على ما قاله الشاعر الكبير سعيد عقل: «بأنه ليس مسموحاً لأحد أن يزور التاريخ، وحقيقة الامر هي ان صاحب الفضل في تأسيس دولة لبنان هو الحاج عارف النعماني». يقول فيه الاستاذ سلمان: «اسجل وفي هذا العدد بالذات ان مداخله الحاج النعماني لدى فيصل ليس لها عدا التفكيكية التاريخية اية قيمة سياسية»

(صورته مع بعض امراء الحجاز). فعندما زار الامير فيصل بيروت نزل ضيفاً على عمر الداعوق وفترة في منزل عارف النعماني الذي قدم له عربته التي يجرها حصانان انكليزيان لم يكن هنالك مثلهما سوى عربة الوالي اسماعيل حقي.

وليس من باب الفخر انما يحسن بي ان اؤكد ان اول مدير لبلاط الملك فيصل في دمشق كان من اقربائي وعند استلامه المهمة ابرق الى عارف النعماني — نظراً لعلاقته بفيصل اميراً — يعلمه بالامر فوقع نص البرقية بيد الحكومة الفرنسية فازداد اتهامها لعارف بمعارضته لها مما زاد هذا الامر عداها للمذكور اثناء محاكمتها له.

— وعندما زار عارف النعماني الحجاز مراراً ملياً طلبات المملكة الهاشمية بوصفه رجل اعمال وصديق للعائلة المالكة حتى انه قام بشراء باخرة شحن لم يتم استلامها ان انقطعت الصلات التجارية مع الحجازيين في جدة. عارف لم تنقطع مع المملكة وعلى الاخص مع الامير فيصل الذي اصبح فيما بعد ملكاً على العراق. فتراكمت الديون عليهم ولم يقبضها بسبب احتلال آل سعود للحجاز وعدم استطاعة الملك فيصل من تسديدها. فهل لم يكن لذلك اي قيمة سياسية بل تفكيكية؟

— كان للسيد عارف مشاريع كبرى منها انه قام بتأسيس مصرف وطني ليتأسس البنك السوري الذي تأسس في باريس واصدر العملة السورية الورقية لتحل محل الليرة الذهبية التركية (عملة بلادنا الرسمية لغاية انتهاء الحرب العالمية) بموافقة الدولة الفرنسية المتدنية على سوريا ولبنان. وحضر مسيو بيرار رئيس مجلس ادارة البنك السوري من باريس بنفسه وسعي مع فرنسا لعدم السماح بتأسيس ذلك المصرف.

ومن جملة اعماله انه ايد مالياً المجلس الوطني اللبناني الذي كان يقاوض فرنسا في باريس لرفع انتدابها عن لبنان واستبداله بمعاهدة جنية فما كان من المندوب السامي الجنرال «غورو» في بيروت الا ان احواله على المحكمة العسكرية (وقد حضرت بنفسه احدى جلساتها) وصدر الحكم عليه بنفيه الى جزيرة كورسيكا.

— لا اعتقد ان القراء الكرام تهتمهم سيرة المرحوم عارف النعماني بعد انهيار البضائع الأوروبية وتحويل اعماله الى زراعية وغيرها في العراق وفي بيروت لذلك اتوقف عند هذا الحد.

انما طرأت علي فكرة انه لا بد لي في ختام هذا الحديث بان اذكر بان ابن العم عارف كان ذواقة بالموسيقى. فقد كان هو والدي ممن يجيدون العزف على العود. وكان يسود معظم سهرات عائلتنا الانس والطرب مما يرفقه عن نفوس الجميع. اقول ذلك لاني على يقين بان معظم رجال الأعمال، في الشرق وفي الغرب، لا وقت لديهم ليقوموا بممارسة الغناء الطرب والعزف. لأن وقتهم كله من «ذهب» فقط... كما يقولون.

وانتختم كلمتي هذه راجياً لجميع قراء هذه المجلة الغراء السعادة والهناء والنجاح.

(*) اديب وخبير محلف في الترجمة والمحاسبة والتجارة لدى اتحاد المصارف العربية.

فهرس المصادر والمراجع والمجلات والصحف العربية والأجنبية

أولاً: المصادر والمراجع العربية حسب أسماء المؤلفين

- (١) أحمد طربين: لبنان في عهد المتصرفية ١٨٦٠-١٩٢٠، القاهرة، معهد الدراسات العربية ١٩٦٨.
- (٢) أسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٣.
- (٣) أسكندر رياشي: تذكارات اسكندر الرياشي قبل وبعد ١٩١٨-١٩٤١، بيروت ١٩٥٣.
- (٤) أسعد سحراني: الماسونية نشأتها وأهدافها، دار النفائس، ط ١ ١٩٨٨.
- (٥) ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، ترجمة كريم عزقول، بيروت، دار النهار للنشر (د.ت.).
- (٦) أمين الريحاني: - القوميات ج ١-٢، بيروت، دار الريحاني، ١٩٥٦.
- ملوك العرب ج ٢، بيروت، دار الريحاني، ١٩٥١.
- (٨) أنور الجندي: تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، مكتبة الأنجلو، ط ١، ١٩٧٠.
- (٩) أنيس صايغ: لبنان الطائفي، بيروت ١٩٥٥.
- (١٠) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، مطابع دار الكشف، بيروت ط ١، ١٩٥١.
- (١١) تيودور هانف: لبنان تعايش في زمن الحرب، نقله عن الألمانية مورييس صليبا، باريس، ط ١، ١٩٩٣.
- (١٢) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد ١٩٥٣.
- (١٣) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، تعريب ناصر الدين الأسد، بيروت ١٩٦٦.
- (١٤) حسان حلاق: - التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣-١٩٥٢، بيروت، معهد الانماء العربي، ١٩٨١.
- دراسات في تاريخ لبنان المعاصر. بيروت دار النهضة، ١٩٨٥.
- (١٦) زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، بيروت مكتبة النهضة، ١٩٦٩.

- (١٧) زين نور الدين زين: - الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت ١٩٧١.
- نشوء القومية العربية، بيروت ١٩٧٩.
- (١٩) سعيد أمين: الثورة العربية، الدار الأهلية.
- (٢٠) ساطع حصري: يوم ميسلون، دار الكشف، بيروت ١٩٤٨.
- (٢١) عبد الرحمن بكداش العدو: بيروت خلال ثلثي قرن، بيروت، مطابع المقاصد، ط ٢، ١٩٩٢.
- (٢٢) عبد الرحمن الرافي: تاريخ الحركة القومية، مطبعة النهضة المصرية ط ١، القاهرة ١٩٣٠.
- (٢٣) عبد العزيز نوار: وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث (١٥١٧-١٩٢٠) جامعة بيروت العربية ١٩٧٤.
- (٢٤) علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤، بيروت، الدار الأهلية، ١٩٨٧.
- (٢٥) عمر فاخوري: كيف ينهض العرب، بيروت ١٩٨١.
- (٢٦) لوسيان كافرو ديمارس: العار الصهيوني آفاقه كوارثه، بيروت ١٩٧٢.
- (٢٧) لورانس ت. أ: أعمدة الحكمة السبعة، منشورات المكتبة الأهلية، ط ٢، بيروت، ١٩٧٠.
- (٢٨) لحد خاطر: عهد المتصرفية في لبنان ١٨١٦-١٩١٨، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٧٦.
- (٢٩) محمد بديع شريف: دراسات تاريخية في النهضة، مطابع دار صادر، بيروت ١٩٦٧.
- (٣٠) محمد قره علي: - خطط الشام مج ٣، مطبعة الترقى، دمشق ١٩٢٥.
- مذكرات عارف النعماني، نشرت في جريدة الحياة، بيروت ١٩٥٣.
- (٣٢) محمد جميل بيه: سوريا ولبنان ١٩١٨-١٩٢٢، بيروت ١٩٦٨.
- (٣٣) نجدة فتحي صفوة: الماسونية في الوطن العربي، مركز الدراسات العربية لندن ١٩٨٠.
- (٣٤) يوسف الحاج: في سبيل الحق- هيكل سليمان أو الوطن القومي اليهودي، بيروت ١٩٣٤.
- (٣٥) يوسف السودا: في سبيل الاستقلال في وادي النيل، ج ١ (١٩١٦-١٩٢٢)، بيروت ١٩٦٧.

- (٣٦) يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج ٢، بيروت.
(٣٧) يوسف يزبك: مؤتمر الشهداء، بيروت ١٩٥٥.

ثانيًا: المصادر والمراجع الأجنبية

- Adel Ismail: Documents diplomatiques et consulaires consultot de Beyrouth, Vol. 20. Beyrouth 1979.
Hicham Charabi: Arab intellectuel and the West the formative years 1875-1914. Baltimore Mad: Jhons Hop Kings University Press, 1970.
Edmond Rabbath: La formation Historique du Liban politique et constitutionnel, Beyrouth 1973.
Khairallah Khairallah: La question du Liban, Paris 1915.
Stephen H. Longrigg: Syria and Lebanon under French Mandate. London 1958.
Sydney N. Fisher: The Middle East- A history. London 1960.
Toufic Touma: Paysans et instruction feodales chez druzes et les Maronites du Liban du XVII siecle à 1914 T.II Beyrouth 1971-1972.
Mounir Ismail: Le Liban sous les Moutasarriifs Segretaria di Serdigna Cart 223 - villanis à cavour.
Gen. Gourand à quai d'Orsay N. 2864 of 25 Mars 1920 in F.O. 371/5034/44.
Documents diplomatiques et consulaires. Annexe à la dépêche, n°62, du 17 Mars 1913.

ثالثًا: المذكرات المنشورة

- (١) مذكرات خالد العظم، ج ١ و ج ٢، بيروت ١٩٧٣.
(٢) حقائق لبنانية. بشارة الخوري، الأجزاء ١، ٢، ٣، درعون حريصا ١٩٦٠-١٩٦١.
(٣) مذكرات عارف النعماني، بيروت ١٩٥٣.

رابعًا: الجرائد

- (١) جريدة الأحرار، ميكروفيلم الجامعة الأميركية، ١٩١٩.
(٢) جريدة الحياة، نشرت مذكرات عارف النعماني بتاريخ ١٩ شباط ١٩٥٣.
(٣) جريدة اللواء، ١٤/١٢/١٩٩٥.
(٤) جريدة بيروت، ١٧/٣/١٩٤٨.
(٥) نهار الشباب، ١٨/٨/١٩٩٨.
(٦) جريدة السفير، ١١/١٠/١٩٩٨.

خامسًا: المجلات

- (١) مجلة الأفكار، مجلة أسبوعية، بيروت ١٩٩٦.
(٢) مجلة المقاصد، بيروت ١٩٨١.
(٣) Florol, 2e. Année, No. 21- 21, Mai 1921, L'hebdomadaire Illustré du Monde du Travail.

سادسًا: المؤتمرات

- (١) المؤتمر العربي الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية، باريس - سان جرمان ١٣/٦/١٩١٣.
(٢) المؤتمر الدائم للحوار اللبناني - السوري، بيروت، أوتيل السمرلند ١٨ آذار ١٩٩٦.
(٣) مؤتمر وثيقة بيروت. بيروت، أوتيل الكارلتون ٢٣/٣/١٩٩٦.
(٤) Conférence de la paix à la secrétaire de la délégation de l'empire Britanique, n° 2594, 24 Mars 1920 in F.O. 371/5034/44.

سابعًا: المقابلات

- (١) مقابلة مع السيدة يسر كامل الصلح بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٦.
(٢) مقابلة مع الدكتورة زاهية قدورة بتاريخ ٢٥/٥/١٩٩٦.
(٣) مقابلة مع الدكتور أسامة عانوتي بتاريخ ٨/٤/١٩٩٦.
(٤) مقابلة مع السيدة عزيزة كامل النعماني البنا بتاريخ ١٤/٢/١٩٩٦.
(٥) مقابلة مع السيد وجيه انيس النعماني بتاريخ ٢٣/٣/١٩٩٦.

ثامنًا: الملاحق (الوثائق)

- (١) وثائق فرنسا
(٢) وثائق العراق
(٣) وثائق لبنان

تاسعًا: الصور والخرائط

- (١) صورة لعارف النعماني
(٢) صورة لعارف النعماني مع الأمير فيصل
(٣) صورة لعارف النعماني أثناء نفيه إلى جزيرة كورسيكا
(٤) خريطة للعاصمة بيروت تبين الشارع الذي يحمل اسمه

فهرس الموضوعات

المقدمة

٥

القسم السياسي

الفصل الأول

عصر عارف النعماني ١١

شجرة نسب آل النعماني ١٧

أصله ونسبه ١٨

الفصل الثاني

تحركه السياسي في بيروت ٢١

موقفه من جمعية الاتحاد والترقي ٢٣

رئاسته للنادي الأهلي البيروتي ٢٩

جمال باشا واعتقال عارف النعماني ٣٢

الفصل الثالث

تحركه السياسي في دمشق ٣٥

ثورة الشريف حسين في الجاز ومرحلة الحكم

الفيصلي في لبنان ٣٦

حوار الأمير فيصل - النعماني حول استقلال لبنان ٤١

موقفه من معاهدة سايكس - بيكو ٤٥

اتفاقية فيصل - كليمنصو ٤٧

موقفه من لجنة كينغ-كراين ٥١

حوار الجنرال غورو - النعماني حول استقلال لبنان ٥٣

أعماله في المؤتمر السوري ٥٧

عارف النعماني ونتائج مؤتمر سان ريمو ٦١

دعمه المادي لمجلس ادارة جبل لبنان ٦٧

نفي النعماني إلى جزيرة كورسيكا ٧٥

القسم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي

الفصل الخامس

أعماله الاقتصادية ٧٩

أولاً : أعماله في مانشستر ٧٩

ثانياً : أعماله في مصر ٨١

ثالثاً : أعماله في لبنان وتصادمه مع ويغان بسبب بنك

الإصدار الوطني ٨١

رابعاً : أعماله في مرسين ٨٤

خامساً : أعماله في حلب ٨٥

سادساً : أعماله في الحجاز ٨٥

سابعاً : أعماله في العراق ٩١

ثامناً : أعماله في إيطاليا ٩٦

نهاية عارف النعماني الاقتصادية ٩٦

الفصل السادس

أعماله الثقافية والاعلامية ٩٩

أعماله الاجتماعية وابعادها الدينية ١٠٠

الخاتمة

الملاحق (الوثائق الفرنسية والعراقية واللبنانية) ١٠٥

الصور ١٢٥

الخريطة ١٣٧

جريدة الحياة (مذكرات عارف النعماني) ١٣٨

مجلة الأفكار (آراء حول عارف النعماني) ١٥١

فهرس المصادر والمراجع والمجلات والصحف العربية والاجنبية ١٥٤

فهرس الموضوعات ١٥٨

كتب وأبحاث للمؤلفة ١٦٠

كتب وأبحاث للكاتبة

- الرق في الجاهلية وصدر الاسلام. ١٩٧٨ (رسالة دبلوم)
- الأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي ١٩٩٠ (رسالة الدكتوراه)
- تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري منشورات دار النهضة ١٩٩٧/٧ ك٢.
- المراة الصيداوية تاريخ ومواقف مجلة تاريخ العرب والعالم تموز ١٩٩٢
- الكلتيون مخترعوا الفن الحديث مجلة تاريخ العرب والعالم تشرين ٢ ١٩٩٢
- الصلبيون في بيروت كتاب تحت الطباعة
- المراة اللبنانية وأثرها في التطور الحضاري بحث مخطوط
- الذاكرة البيروتية (الرسام مصطفى فروخ) بحث مخطوط
- المنحى الحضاري عند عبدالله العلايلي مجلة الحداثة - نيسان ١٩٩٧
- الرؤيا المستقبلية للوحدة العربية مؤتمر الطاولة المستديرة بنغازي ليبيا ٢٣ تموز ١٩٩٧
- تراث المراة اللبنانية في عصر النهضة مؤتمر التراث الشعبي - حلقة الحوار الثقافي
- النخبة في لبنان مؤتمر الهيئة اللبنانية للسلام تشرين ٢ ١٩٩٧
- الحركة النسائية في عصر النهضة (ابتهاج قدورة) بحث لمجلة المجلس النسائي
- من حطين التي عين جالوت مؤتمر دمشق ١٧/٣/١٩٩٨
- بيروت من الفتح العربي إلى الاستقلال دار بيروت ٢٢/٢/١٩٩٨
- الكتاب أمام وسائل الاتصال الحديثة بيروت التراث ١٠/٢/١٩٩٨
- العلاقات التجارية بين ثغور الشام وأوروبا مؤتمر جامعة الأزهر ٢٣/٤/١٩٩٨
- العتبات المقدسة في إيران مؤتمر طهران ١٨/٨/١٩٩٧
- العلاقات التجارية وأثرها الحضاري في العصر الأموي مؤتمر دمشق ١٧/٣/١٩٩٩
- التمييز ضد المراة في قانون العمل والأسرة اللجنة الأهلية لحقوق المراة ٥/٣/١٩٩٩

هذا الكتاب

يلقي الضوء على حقبة مهمة من تاريخ لبنان (١٨٨٢-١٩٥٥) وعلى وثائق و تفاصيل دقيقة أغفلتها كتب التاريخ اللبناني، وذلك من خلال علاقات أقامها عارف النعماني مع ملوك تلك الحقبة وزعمائها، كما يعطي فكرة عن شخصيات أهل بيروت و مواقفهم. ويتناول الكتاب علاقات لبنان الدولية و التحولات السياسية و الاقتصادية التي مرَّ بها من خلال شخصية عارف النعماني. لذا نرى أن هذه الشخصية تستحق إلقاء الضوء عليها و إيضاح مواقفها السياسية ضد سياسة التتريك و السعي في سبيل دولة لبنان الكبير، و المناضلة لتحقيق الاستقلال و تثبيت العلاقات المميزة مع سوريا، و النضال ضد الانتداب الفرنسي، و دعم مجلس إدارة جبل لبنان في مؤتمر الصلح. أما مواقفه الاقتصادية فقد تجلّت بمعارضة تحويل ذهب لبنان إلى عملة ورقية، و اشتغاله بالتنقيب عن البترول في الحجاز. وإقامة المشاريع في العراق و فشلها. و ضياع متجره في مانشستر (قضية آل الإدلي - الشركة الإنكليزية). أما مواقفه الاجتماعية، فتظهر بإنشائه عدة مدارس و مساعدته للطلاب و للأسر المعوزة، و دعمه الثورات النضالية.